

الأثر الاستشراقي والحداثي في الحركة التجديدية لعلوم القرآن

The Orientalist and Modernist Imp act on the Reform Movement in the Sciences of the Qur'an

د. علي زواري أحمد

Dr. Ali Zouari Ahmed

كلية العلوم الإسلامية، جامعة الوادي

Faculty of Islamic Sciences, University of El-Oued

البريد الإلكتروني المهني: zouari-ahmed-ali@univ-eloued.dz

البريد الإلكتروني الشخصي: soufislam@gmail.com

Professional Email: zouari-ahmed-ali@univ-eloued.dz

Personal Email: soufislam@gmail.com

ملخص

يعالج بحثنا الأثر الذي تركته الدراسات الاستشراقية الحديثة والاتجاهات الحداثية في الحركة التجديدية لعلوم القرآن من حيث نوعية التأليف وصورته وموضوعاته وما يؤخذ منه وما يرد، وقد عالجنا فيه أسباب التجديد الحديثة في علوم القرآن، وبيّنا الاتجاهات الاستشراقية وأثرها في تجديد علوم القرآن، كما وقفنا عند موضوعات التجديد في علوم القرآن التي تطرّق لها الحداثيون، وأعطينا نماذج من الدراسات التجديدية الحديثة في علوم القرآن، وخرجنا بنتائج أهمّها أن الاستشراق وبعده الحداثة كان لهما الأثر الظاهر في الحركة التجديدية لعلوم القرآن. الكلمات المفتاحية: الاستشراق؛ الحداثة؛ الاتجاهات؛ التجديد؛ علوم القرآن.

Abstract

Our research addresses the impact left by modern Orientalist studies and modernist trends on the reform movement in the Sciences of the Qur'an in terms of the type of authorship, its form, its subjects, what is accepted from it and what is rejected. In it, we examined the modern causes of reform in the Sciences of the Qur'an, clarified the Orientalist trends and their impact on the renewal of the Sciences of the Qur'an, and also addressed the topics of reform in the Sciences of the Qur'an that were discussed by modernists. We provided examples of contemporary reformist studies in the Sciences of the Qur'an, and we reached conclusions, the most important of which is that Orientalism, and after it modernism, had an evident impact on the reform movement in the Sciences of the Qur'an.

Keywords: Orientalism; Modernism; Trends; Reform; Sciences of the Qur'an.

المقدّمة

من قضايا العصر المطروحة على المستوى الفكري والعلمي مسألة التّجديد، وهذه المسألة لم تقف عند شيء واحد من علومنا، بل شملت جميع تراثنا: الإسلامي، واللّغوي، والأدبي.. ولم يكن أي علم من علومنا بمنأى عن هذا التّجديد الذي وُسم به هذا العصر، وقد وقف الناس منه على ثلاثة مواقف، منهم المتبني له على حساب تراثنا، ومنهم المتمسك بالتّراث ويرى تجديده من داخله، ومنهم من يرى الاستفادة من الجديد الوافد والابقاء على القديم النّافع، وقد كانت علوم القرآن على غرار باقي العلوم الإسلاميّة في مرمى هذا التّجديد، ونحن نريد أن نتناول أهمّ فكرين كان لهما الأثر الكبير على الدّراسات القرآنيّة، هما الفكر الاستشراقيّ والفكر الحدائبيّ، ومن هنا وصفنا مداخلتنا ب: "الأثر الاستشراقيّ والحدائبيّ في الحركة التّجديديّة لعلوم القرآن".

إشكاليّة البحث: تتمثّل في بيان وتحليل مدى الأثر الذي تركته الدّراسات الاستشراقيّة الحديثة والاتجاهات الحدائبيّة في الحركة التّجديديّة لعلوم القرآن من حيث نوعيّة التّأليف وصورته وموضوعاته وما يؤخذ منه وما يرد.
منهج البحث: اعتمدنا على المنهج الوصفيّ كما هي أغلب الدّراسات التي تستعمل الوصف والتحليل.
خطّة البحث: ولمعالجة الإشكاليّة المطروحة فقد اتّبعتنا الخطّة التاليّة:

مقدّمة؛ بعناصرها المعهودة في البحوث والمداخلات؛ ثمّ تناولنا في صلب الموضوع المطالب الآتية:

المطلب الأوّل - طبيعة حركة التّأليف التّراثيّة في علوم القرآن؛

المطلب الثّاني - أسباب التّجديد الحديثة في علوم القرآن؛

المطلب الثّالث - الاتجاهات الاستشراقيّة وأثرها في تجديد علوم القرآن؛

المطلب الرّابع - نماذج من الدّراسات التّجديديّة الحديثة في علوم القرآن؛

المطلب الخامس - الحدائبيّون وموضوعات التّجديد في علوم القرآن؛

الخاتمة وفيها أهمّ النتائج.

ونشرع في تفصيل هذه المطالب.

المطلب الأوّل - طبيعة حركة التّأليف التّراثيّة في علوم القرآن

التّجديد في علوم القرآن - أو في الدّراسات القرآنيّة عموماً - يقتضي منّا إعطاء لمحة موجزة عن طبيعة حركة التّأليف التّراثيّة في هذا الفنّ الكبير المتعلّق بكتاب الله تعالى، وذلك حتّى يمكننا فهم الدّعوة للتّجديد؛ لماذا التّجديد؟ وما أسبابه الدافعة إليه؟ وما هي المواطن التي لحقها التّجديد في علوم القرآن؟

فنقول وبالله التوفيق أنّ المتتبّع لحركة البحث والتّأليف في القرآن الكريم يجدها انطلقت منذ العصر الأوّل، فقد كانت الدّراسات القرآنيّة - وما تزال - الشّغل الشّاغل والاهتمام الأكبر للعلماء والباحثين، فقد دأب الجميع على البحث والتّأليف، والدّراسة والتّنقيب في سائر العلوم المنضوية تحت القرآن الكريم، كفضيّة دلائل الإعجاز، والمجاز، والمعاني، والتّفسير، والقراءات، والرّسم، وغريب القرآن، ومشكل القرآن، ونظم القرآن، وعلوم القرآن المختلفة، والتي بلغت ما يزيد على ثمانين علماً - كما قال السيوطي رحمه الله تعالى - وغيرها من القضايا المتعلّقة

بالبحث القرآني، وبذلك تكوّنت مكتبة قرآنية تراثية شاملة حوت المصنّفات والكتب المختلفة والمتنوّعة في مجال الدّراسات القرآنية¹.

وقد تميّزت بدايات تلك الدّراسات القرآنية بامتزاجها بغيرها من العلوم الشرعيّة، والمراد منها خدمة الشّرع الحكيم، وبيان أوجه الإعجاز القرآنيّ، ودفع ما يمكن أن يكون سببا في تشويه الدّين أو ظهور الالتباس في بعض قضاياها، كوقوع اللّحن وفهم بعض النّصوص على غير مرادها، أو تفشّي القول في الشّرع بغير ضوابط وقواعد تحكّم وجوه الاستنباطات وتيسّر التّصوّرات والمفاهيم، وخصوصاً علم التّفسير الذي هو من أكثر الدّراسات القرآنية لصوقاً بالعلوم الشرعيّة، كون القرآن الكريم هو المصدر الأوّل لتّشريع.

ثمّ بعدها تميّرت الدّراسات القرآنية عن غيرها من العلوم الشرعيّة، وذلك بتخصيص المؤلّفين لرسائل مفردة في مباحث خاصّة من الموضوعات والقضايا المتعلّقة بالقرآن الكريم، وخاصّة فيما يتعلّق بعلوم القرآن.

ثمّ تميّزت بعدها الدّراسات القرآنية باتجاه المؤلّفين إلى تأليف كتب جامعة لا تختصّ بمبحث واحد من مباحث القرآن الكريم وعلومه، وهذا التسلسل الذي سار عليه التّأليف في الدّراسات القرآنية، هو التّطوّر الطّبيعيّ الذي يتّسق مع طبيعة الأشياء، ثمّ هو أيضاً التسلسل الذي سار عليه التّأليف في علوم أخرى، مثل علوم اللّغة، وخصوصاً صناعة المعجمات، وكتب النّحو وغيرها.

يقول فهد بن عبد الرّحمن الرّومي: "وحيث تنظر فيما ذكرت في المؤلّفات تجد كلّ واحد منها يتناول علماً واحداً من علوم القرآن الكثيرة، وقد اتجهت أنظار العلماء إلى تأليف كتب تتحدّث عن هذه العلوم جميعاً فتعرف كلّ علم تعريفاً موجزاً وتتناوله تناوؤاً ميسراً، فكان هذا العلم الذي سمّوه "علوم القرآن" بالمعنى المدوّن"².

ومن جملة تلك المصنّفات في الدّراسات القرآنية، كما ذكرها ابن النّديم في كتابه الفهرست، تفسير القرآن، معاني القرآن ومشكله ومجازه، غريب القرآن، القراءات، لغات القرآن، الوقف والابتداء، متشابه القرآن، فضائل القرآن، عدد آي القرآن، ناسخ القرآن ومنسوخه، نزول القرآن، أحكام القرآن، النّقط والشّكل للقرآن، اختلاف المصاحف، لامات القرآن، هجاء المصاحف، مقطوع القرآن وموصوله، أجزاء القرآن، وغيرها من المؤلّفات في الدّراسات القرآنية في العصور المتقدّمة، فكلّ هذه الأبحاث كانت موضوعاً لكثير من المؤلّفات في فترة لم تتجاوز المائة الرّابعة الهجريّة، وهو عام الانتهاء من كتاب الفهرست لابن النّديم³.

1 - ينظر: دليل الكتب المطبوعة في الدّراسات القرآنية حتّى عام 0341هـ - 9112 مجهود الأمة خلال خمسة عشر قرناً" إعداد مركز الدّراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشّاطبيّ، نشوان عبده خالد، QURANICA, 3(1), 2013 BOOK

REVIEW Nashwan Abdo K. Qaid | 279

2 - فهد بن عبد الرّحمن بن سليمان الرّوميّ، دراسات في علوم القرآن، الطّبعة: الثّانية عشرة، سنة: 1424هـ - 2003م، ص: 41.

3 - ينظر: محمّد عبد السلام كفاي وعبد الله الشّريف، في علوم القرآن دراسات ومحاضرات، النّاشر: دار النّهضة العربيّة - بيروت، ص:

وقد واصل العلماء بعد هؤلاء الأوائل المسيرة في البحث والكتابة والتأليف في مختلف الدراسات القرآنية وإلى العصر الحديث، وقد تنوعت اتجاهاتهم واختلفت طرقهم في ذلك، فمنهم من اتبع منهج المؤلفات الجامعة، ومنهم من ألف في شيء واحد من قضايا القرآن، وكلهم ينسجون دراساتهم القرآنية وفق الأصول والقواعد التي تعارف عليها علماء الإسلام في التعامل مع القرآن الكريم وما سنّوه واستنبطوه من ضوابط في التعاطي مع سائر العلوم الشرعية.

المطلب الثاني - أسباب التجديد الحديثة في علوم القرآن

الكلام عن التجديد في علوم القرآن يدعونا بالضرورة لمعرفة أسبابه؛ لأنه في ظلّها ندرك الأثر الاستشراقي والحداثي في دفع حركة التجديد في علوم القرآن، وإن لم تكن الحداثة والاستشراق هما كلّ الأسباب، إلا أنّهما أهم الأسباب، ولا يكاد يخلو منهما سبب ممّا سنذكره، ومن جملة تلك الأسباب ما يلي:

السبب الأول: التصدي للرد على الشبهات: الشبهات التي أثّرت وتثار حول علوم القرآن - على غرار باقي تراثنا الشرعي والأدبي والإنساني - كانت من أهم الأسباب التي جعلت الباحثين في علوم القرآن يولونها عناية خاصة؛ إمّا بإدراجها ضمن مباحث علوم القرآن، أو يخصّونها بتأليف خاصّ.

وتلكم الشبهات تصدر من أمثال المستشرقين والمنصرين والعلمانيين والحداثيين وأصحاب النظريات والمناهج الحديثة؛ فقد صادفت هذه المرحلة ظاهرة الاستعمار وما انجرّ عنه من ظاهري الاستشراق والتّنصير، وقد كان البحث في الدراسات القرآنية قبل هذا التاريخ محصوراً في علماء المسلمين المتخصّصين في العلوم الإسلامية، ولم يكن بينهم خلاف حول الأسس الكبرى لهذه الدراسات، وأمّا المرحلة الجديدة فقد تميّزت بدخول المستشرقين والمنصرين على الخطّ، وعلى أعقابهم جاء العلمانيون والحداثيون فنشروا الكثير من الدراسات حول القرآن الكريم، تميّزت بعداء واضح وتعصّب مقيت، وتبسيط المناهج الحديثة بما يجافي المنهج العلميّ الأصيل من جهة، وبما يبعد الباحث من هؤلاء على الإنصاف من جهة أخرى، لذلك بذل علماء العرب والمسلمين جهداً كبيراً في الرد على افتراءات هؤلاء ودحض شبهاتهم، وبيان انحرافهم عن المنهج العلميّ.

لذا تعدّ الدراسات الاستشراقية من الدوافع الكبرى للدراسات القرآنية الحديثة؛ فقد كانت الدراسات الاستشراقية موظّفة لأغراض إمبريالية؛ إذ نشأت أساساً - بصفتها فرعاً علمياً مستقلاً - لخدمة الاستعمار الغربيّ للعالم الإسلاميّ؛ وعندما انتهت الحقبة الكولونيالية¹ الأولى لم تعد عموماً كذلك، وبعد أن أصبحت فرعاً علمياً

1 - الكولونيالية: يراد بها الاستعمارية؛ أما صفته المفهومية وطابعه الاصطلاحيّ ظهر مع بداية التوسّع الأوروبيّ خارج القارة في منتصف القرن السادس عشر، ويراد به ممارسة أو سياسة للسيطرة على أشخاص أو مناطق أخرى من قبل شعب محدد أو سلطة ما، غالباً عبر إنشاء المستعمرات، وبهدف الهيمنة الاقتصادية. وفي عملية الاستعمار، قد يفرض المستعمر دينه ولغته واقتصاده وممارساته الثقافية الأخرى. ويحكم المسؤولون الأجانب المنطقة سعياً وراء مصالحهم، وذلك للاستفادة من موارد وشعوب المنطقة المستعمرة. وترتبط الاستعمارية بالإمبريالية، ولكنها مختلفة عنها. وتتمحور النظرية ما بعد الكولونيالية حول تأثير الاستعمار الجديد المعاصر، وتأثير تاريخ

مستقلاً أفرزت كثيراً من الدراسات الجادة - وخصوصاً في مجال الدراسات القرآنية - ذات الأهمية الخاصة لنا، ولكن الأهم في موضوع الدراسات القرآنية الاستشراقية؛ لأنها جلبت إلى العالم الإسلامي مناهج جديدة في دراسة القرآن الكريم، وقدمت خدمات جليلة للباحثين المختصين في مجال الفهرسة والتوثيق، ولكنها في المقابل أيضاً جلبت معها كثيراً من الإشكالات والتفسيرات الغريبة، بل و"المطاعن" الجديدة في القرآن وعلومه، وقد كان لذلك كله أثراً مهماً في تحفيز الدراسات القرآنية الحديثة¹.

ولا ريب أنّ الاستشراق لا يزال موجوداً، والاستعمار لا يزال قائماً؛ وخاصة بعد زرع الكيان الصهيوني في قلب الأمة الإسلامية فكلّ هذا سيكون له أثره على الدراسات القرآنية الحديثة خدمة للاستعمار وللحدثة والعمولة، يقول الحاخام الأكبر لإسرائيل سابقاً مردخايياهو، مخاطباً مجموعة على وشك الالتحاق بالجيش الإسرائيلي: "هذا الكتاب الذي يسمونه القرآن هو عدونا الأكبر والأوحد، هذا العدو لا تستطيع وسائلنا العسكرية مواجهته، كيف يمكن تحقيق السلام في وقت يقدر العرب والمسلمون فيه كتاباً يتحدث عنّا بكلّ هذه السلبية؟! على حكّام العرب أن يختاروا؛ إما القرآن أو السلام معنا"².

وعلى العموم فالدراسات الاستشراقية كانت ولا تزال من أهمّ الدوافع للاهتمام بالدراسات القرآنية في العصر الحديث؛ فبالنسبة للغربيين المحدثين أعطتهم دافعا قويا في إحياء العديد من القضايا المتعلقة بالقرآن الكريم، كما أنّها دفعتهم لإثارة قضايا جديدة، منها ما يتعلق بالإشكالات؛ كتاريخ القرآن، والمخطوطات القرآنية، وما شابه ذلك، ومنها ما يتمحور حول القراءات الحديثة وفق المناهج الحديثة، وغيرها. ففي القراءات القرآنية نجد المستشرق جولد تسيهر (ت1921م) يشنّ هجوما عليها وعلى أسبابها وأسباب الاختلاف فيها، ومثل تشكيك نولدكه (ت1930م) في الوحي وجعل القرآن بشرياً.

وفيما يخصّ العرب والمسلمين فمنهم من تابع الركب الغربيّ وتأثر به - وخاصة العلمانيون والحدائيون - ومنهم من أخذ قلمه ليبيّن ويوضح ما أثير حول القرآن الكريم، أو يدافع ويردّ الشبهات عن الساحة القرآنية، أو يجدد ويطوّر فيما يقتضيه التطوير والتجديد في مجال دراسات القرآن الكريم وعلومه.

وفي خضمّ أثر الاستشراق على الدراسات القرآنية الحديثة - ومنها الدراسات العربية - لا مانع أن نقتطف شيئاً من كلام الدكتور طه جابر العلواني في الحوار الذي أجرته معه مجلّة الكلمة، حيث يقول: "إنّ الاستشراق الغربيّ ومنه الاستشراق الإسرائيليّ قد رصد مصادر التراث الإسلاميّ وآثاره في تكوين النفس والعقلية الإسلامية

الاستعمار على البنية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية. تنطلق هذه النظرية من فرضية مفادها أنّ البرادام الكولونياليّ يواصل فعله كعامل مركزيّ في بلورة وتصميم الوعي الحديث، حتّى بعد انهيار الدول الاستعمارية الكلاسيكية.

1 - ينظر عبد الرحمن بن معاضة الشهري: الدراسات القرآنية الحديثة... إلى أين تتجه، تاريخ النشر: 18/04/2006, 02:55 pm، موقع ملتقى أهل التفسير، الرابط: <https://mtafsir.net/forum>

2 - عبد المحسن بن زين بن متعب المطيري: دعاوى الطّاعنين في القرآن الكريم (الطّعن في القرآن الكريم والرد على الطّاعنين)، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1427هـ - 2006م، ص: 72.

بشكل جاد، ولم يفته أنّ القرآن كان في مقدّماتها، بل هو الرّأس والأسّ الذي لا بدّ أن توجّه إليه الجهود التي تناسب مكانته وتأثيره وقدراته الدائمة المستمرة على النّفس الإنسانيّة، وخاصّة النّفس التي تتذوق العربيّة وتعرفها، وأنّ أيّ طعنة نافذة توجّه إلى القرآن إذا أصابت الهدف فإنّ تلك الطّعنة قد تغني عن مجموعة كبيرة من المعارك الأخرى. «فالتطبيع» الذي تنشده الدّوائر الصّهيونيّة لا يمكن أن يتحقّق بشكل كامل وطبيعيّ والقرآن يُتلى والكعبة تزار. لقد نظر الاستشراق الإسرائيليّ إلى الشّعب المصريّ - على سبيل المثال - أنّه رغم كلّ اتّفاقيّات السّلام التي وقّعت بين حكومته والدّولة العبريّة لم تستطع تلك الجهود لحدّ الآن أن تصل إلى مستوى «تطبيع العلاقات» مع الشّعب المصريّ. وأستطيع أن أوّكد لك أنّهم قد أدركوا أنّ القرآن المجيد هو الذي أوجد في النّفس المصريّة تلك المناعة بما في ذلك لدى الإخوة الأقباط منهم، فإنّ القرآن إذا كان بالنّسبة للمسلمين مصدر هدايتهم وكتاب ربّهم فإنّه بالنّسبة للأقباط المصريّين مصدر من مصادر ثقافتهم. وقد أدرك الاستشراق القلبيّ والحديث الثّعرات التي تركها علماؤنا نتيجة تشبّث أجيال منهم بالحرّيّة الفكرية ومنهجية الرواية والنّقل وما شاع بينهم من أنّ «ناقل الكفر ليس بكافر» وما إلى ذلك. ووجدوا في بعض ما عرف «بعلوم القرآن» - وما هو في حقيقته بعلوم - مصادر جيّدة للشّبهات؛ فأخذوا ما ورد فيها من أحاديث ضعيفة لا يصح شيء منها ما ورد في «النّاسخ والمنسوخ» خاصّة، وبعض التّصورات الخاطئة في تفسير «المتشابه» وبعض الرّوايات التي شاعت في عصر التّدوين حول تاريخ القرآن الكريم، وإعدام سيدنا عثمان للنّسخ الخاصّة التي كان جُلّها عبارة عن نسخ شخصيّة كتبها أصحابها لأنفسهم ليقروا فيها، فبعضهم مثل ابن مسعود التزم بكتابة السّور التي أقرأه رسول الله - صلّى الله عليه وآله وسلّم - بنفسه إيّاها مباشرة. فكان مصحف ابن مسعود يشتمل على سبعين سورة. أمّا ما لم يقرأه مباشرة على رسول الله - صلّى الله عليه وآله وسلّم - فقد كان يحفظه مثل بقيّة قراء الصّحابة ويقروه ويصلّي به إلّا ما ورد عن المعوذتين وحديث زرّ بن حبيش الذي أشهره أيضًا الدّسّاسون الأوائل وتعلّق به بعض المستشرقين الأواخر... هذا الذي ذكرته كلّه قد شكّل خلفيّة خصبة عندما تقرّر أن تبدأ معركة توجيه الطّعون للقرآن المجيد، ... ونرجع إلى أبناء المسلمين الذين احتلّوا بعض المراكز الأكاديميّة في الخارج. بعضهم تمّ استقطابه من أقسام الدّراسات الإسلاميّة التي يقوم عليها في الغالب رجال الاستشراق أو أنّها أقسام قامت أساسًا على فلسفة الاستشراق. فقد أرادت تلك الأقسام أن تستفيد من بعض الأسماء الإسلاميّة وانتمائها إلى المحيط الإسلاميّ لتعزّز تلك الأطروحات. وقد وجدت إغراءات الشّهرة والمكانة الأكاديميّة والأوصاف والألقاب الكبيرة لدى بعض هؤلاء صدى جعلهم يبنون على ما أسّسته وأنتجته مدارس الاستشراق حول القرآن المجيد، وساعد بعضهم معرفته باللّغة العربيّة وقدرته على قراءة تلك النّصوص من الأحاديث الموضوعية والضعيفة والمتهاففة ونقلها من مصادرها في كتب علوم القرآن وأصول الفقه والتّفسير وما إليها. باعتبارها مسلمًا، ووجدوا فرصة لتطبيق مناهج التّأويل والتّفكيك والتّقد التي تبعتها اللّسانيّون الغربيّون مع كتبهم المقدّسة في محالات مستميتة لإثبات أنّ القرآن قد تعرّض لمثل ما تعرّضت له الكتب الدّينيّة الأخرى، وبالتالي فهو لا يمتاز عنها بشيء ويجب أن توجّه إليه سهام التّقد، وأن يخضع لقواعد اللّسانيّات على اختلافها، وأن تنزع عنه القداسة، ويجري التّأكيد على نسبيّته، ثمّ يأخذ كلّ منهم في تناول

ما يشاء... كما أنني كنت أتمنى عليهم أن يبدؤوا بمراجعات لجهود عدد من الألسنيين المسلمين،... وبذلك نستطيع أن نضع لبنات سليمة في بناء «التجديد والاجتهاد» لتراثنا دون أن نسقط في متاهات العبيثية والعدمية والتفكيك مع العجز عن التركيب؛... وقد حاولت ذلك مع أركون ومع الجابري ومع نصر أبو زيد وأخيراً مع المهندس محمد شحرور، ولم أجد الاستجابة المتوقعة من أيّ منهم ولكلّ منهم أسبابه!!¹.

السبب الثاني: الإجابة عن التنازل التي جدت في العصر الحديث: ممّا عرفناه في كتابات أسلافنا في علوم القرآن وغيرها من العلوم الإسلامية والتراثية أنّها اهتمت بقضايا عصرها، حيث تعرّض الأقدمون لكلّ مسألة كانت مطروحة في زمنهم، سواء كانت شبيهة، أم مسألة استجدت عندهم، أم قضية اختلفوا فيها،... فيعطون لذلك نصيباً في كتاباتهم، وبذلك يمكن القول بأنهم عالجوا قضايا زمانهم، واهتمّوا بواقعهم، وجعلوا العلوم تتماشى وما هم فيه، وعلوم القرآن لا ريب أنّها أخذت القسط من ذلك الجهد، ولعلّ المتبّع لحركة التأليف في هذا المجال يدرك ذلك، وقد أُلحنا لهذا في المطلب الأول من حيث نوعية المؤلّفات والمباحث، وحين نتبّع الموضوعات في علوم القرآن يظهر لنا ذلك بجلاء.

لذا نجد مباحث أضيفت لعلوم القرآن استجدت في هذا الزمن، ولم يتكلّم عنها العلماء السابقون؛ لأنّها لم تطرح في عصرهم، أو لم تكن بالصورة نفسها التي تطرح بها نفسها اليوم، مثل: ترجمة القرآن الكريم، وتاريخ القرآن، ومصدرية القرآن، وأسلوب القرآن، وكيفية التعامل مع القرآن، والالتزام بالرسم العثمانيّ، والإعجاز العلميّ، والتفسير العلميّ، والتفسير الموضوعيّ، والقراءات الجديدة الناتجة عن تطبيق المناهج الوافدة على النصّ القرآنيّ، ولعلّ إخضاع النصّ القرآنيّ للمناهج الغربية من أكبر التنازلات الحديثة في مجال الدراسات القرآنية، الشيء الذي تفرّغ عنه مسائل عديدة في هذا المجال، وغير ذلك من التنازلات.

وفي حين نرى هذه المسائل تلحق بعلوم القرآن نجد في الوقت ذاته بعض المسائل الأخرى التي كانت موجودة واستفاض فيها الأولون تكاد تختفي أو تختزل في مؤلّفات علوم القرآن المعاصرة، كونها لم تعد بحاجة لمزيد بحث وإعادة، مثل الكثير من المباحث التي لها صلة بالبلاغة، وقد ذكرها السيوطي - ومن قبله - لكنّها اليوم اختفت في بعض المصنّفات وتغيّر التعاطي معها في بعض المؤلّفات الأخرى، كما أنّ العديد من مسائل علوم القرآن أفردت بمؤلّفات خاصّة، وذلك لمسيس الحاجة لإفرادها بالبحث، مثل معاجم ألفاظ القرآن الكريم، ومعاجم معاني القرآن الكريم، ومصطلحات القرآن الكريم، وترجمة القرآن الكريم، وغيرها، وكلّ هذا يدخل ضمن حركة التجديد في علوم القرآن.

السبب الثالث: الكتابة بأسلوب معاصر ولغة ميسرة: فضرورة العصر تتطلّب الكتابة في علوم القرآن بلغة سهلة وميسورة، تفهمها الأجيال الجديدة التي قد يوجد فيها من لا يفهم لغة الكتب التراثية، وهذا الأمر يتعلّق بكلّ العلوم والمعارف. ولهذا نجد الكثير من المؤلّفين جنحوا إلى هذا المنحى في إعادة الكتابة حتّى فيما تمّ بحثه في

1 - طه جابر العلواني: القرآن الكريم والقراءات المعاصرة، حوار مع الدكتور الشيخ طه جابر العلواني، مجلّة الكلمة، العدد 71، السنة الثامنة عشر، ربيع: 1432هـ - 2011م، الرابط: <http://kalema.net/home/article/view/998>

التراث، كما هو الحال مع علوم القرآن، فقد كتب فيها علماء إجلالاً ونحو فيها هذا المنحى الميسر والمتماشي مع معطيات العصر ومفاهيمه ومصطلحاته ولغته في التأليف والكتابة، وكذلك التفسير وغيره من الأبحاث.

فمن يطلع على موسوعة الزرقاني، أو مباحث مناع القطان، أو كتاب صبحي صالح ومحمد بكر إسماعيل ونور الدين محمد عتر، ومساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، وغيرهم الكثير يلحظ الكتابة بأسلوب معاصر ولغة ميسرة، وبهذا الصدد نسوق كلاماً مفيداً للشيخ القرضاوي - رحمه الله تعالى - في كتابه فتاوى معاصرة، تحت عنوان؛ مخاطبة الناس بلغة العصر، قال فيه: "ومن القواعد التي التزمناها، أن نحاطب الناس بلغة عصرهم التي يفهمون، متجنباً وعورة المصطلحات الصعبة، وخشونة الألفاظ الغريبة، متوخياً السهولة والدقة.

وقد جاء عن الإمام علي: "حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون . أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟". وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ ولكل عصر لسان أو لغة تميزه وتعبّر عن وجهته . فلا بد لمن يريد التحدث إلى الناس في عصرنا أن يفهم لغتهم ويحدثهم بها. ولا أعني باللغة مجرد ألفاظ يعبر بها قوم عن أغراضهم، بل ما هو أعمق من ذلك، ممّا يتصل بخصائص التفكير، وطرائق الفهم والإفهام. ولغة عصرنا تتطلب عدّة أشياء، يجب على المفتي أن يراعيها:

(أ) أن يعتمد على مخاطبة العقول بالمنطق، لا على إثارة العواطف بالمبالغات. فمعجزة الإسلام الكبرى معجزة عقلية هي القرآن، الذي تحدّى الله به، ولم يتحدّ بالخوارق مع وقوعها للنبي - صلى الله عليه وسلم - ولم تعرف البشرية ديناً يحترم العقل والعلم كما يحترمه الإسلام.

(ب) أن يدع التكلف والتّعسر في استخدام العبارات والأساليب، ولهذا كنت استخدم اللغة السهلة القريبة المألوسة، وربما استخدمت بعض الألفاظ أو الأمثال العامية لتوضيح ما أريد. إيماناً مني بأن جمهور المشاهدين والمستمعين ليسوا في مستوى واحد من الثقافة والفكر، فمنهم الأستاذ الكبير، ومنهم الطالب الصغير، ومنهم التاجر، ومنهم العامل، وكلهم يجب أن يفهم ويعي، وإفهام المستويات المتفاوتة أمر صعب، ولكنني حرصت عليه قدر استطاعتي، وأنا مؤمن بالوسطية والاعتدال في كلّ الأمور، ولهذا كنت بينَ بين، لا أعلوا كلّ العلو إلى مستوى الخواصّ فأفقد العوام، ولا أنزل كلّ النزول إلى العوام فأفقد الخواصّ. بل جعلت هديني أن أرضي الخاصة وأفهم العامة معاً. وهذا نهجي طول حياتي، وأرجو أن أكون قد وفّقت إليه أو قاربت¹.

1 - يوسف عبد الله القرضاوي (المتوفى: 1444هـ - 2022م): فتاوى معاصرة، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة: 2000، 10/1 - 11. والفتوى بين الانضباط والتسيب، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة الطبعة الأولى، سنة: 1988، ص:

ويقول الشيخ علي الطنطاوي - رحمه الله تعالى - : "إنّ الذي أدعو إليه هو تجديد الأسلوب وأن تكون كتب الدّين مكتوبة بلغة العصر، فإنّ لكلّ عصر لغة يفهم بها أبناؤه: (وما أُرسلنا من رَسولٍ إلّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ)"¹.

فتقدّم الدّراسات والكتابات بلغة العصر مهمّ جداً لنهضة الأُمّة، وخاصّة فيما يتعلّق بالقرآن الكريم، الذي يعتبر المفتاح الأوّل والأساسيّ للتّغيير، وقد وقف أحد العلماء الأمريكيّين أمام جمع من المسلمين في مدينة (جلاسجو) ببريطانيا، وقال: "يا أيها المسلمون، إنّكم لن تستطيعوا أن تسايروا الغرب تقنيّاً ولا علميّاً ولا اقتصاديّاً ولا سياسيّاً ولا عسكريّاً، ولكنّكم تستطيعون أن تجعلوا هذا الغرب المتجبر المتعالي يثو على ركبته أمامكم في الإسلام، ثمّ يضيف قائلاً: أعطوني أربعين شابّاً ممّن يحسنون فهم هذا الدّين فهماً دقيقاً، ويحسنون تطبيقه على أنفسهم تطبيقاً دقيقاً، ويحسنون عرضه على النّاس بلغة العصر، وأنا أكفل لكم أن أفتح لهم الأمريكيّين"².

السّبب الرّابع: - قضية النهضة: النهضة التي أصبحت الشّاغل الأكبر للفكر الإسلاميّ المعاصر خلال القرن ونصف القرن الماضيّين، حيث بات مسلماً أنّ مشروع النهضة الإسلاميّ يمرّ من قناة الإصلاح الدّينيّ، وكون القرآن الكريم هو المصدر الأوّل لكلّ فكر إسلاميّ والحركات الإصلاحية؛ فإنّ العودة إليه هي حاجة معرفيّة وتاريخيّة لتجاوز ثقل الثّقافة التّاريخيّة وفهومها التي تفصل بيننا وبين النّصّ الكريم، وتعوق "الفهم الصحيح" للدّين، ومن ثمّ تعوق نهضته.

ثمّ إنّ دراسة القرآن وتفسيره هي "تقليد" سارت عليه كلّ حركات الإصلاح الدّينيّ والسياسيّ في تاريخ الحضارة الإسلاميّة، فكلّ تفكير بالنّهضة لا بدّ له أن يتّخذ موقفاً تجاه النّصّ الكريم، وفهماً يسوّغ رؤيته للحاضر والمستقبل³.

ولذا فلا ريب أنّ القرآن الكريم المصدر الأوّل والأهمّ للعلم والمعرفة حيث كونه البيان المصوّر والمفصّل لكلّ ما يتعلّق بالكون والإنسان، والحياة والأحياء، والدّنيا والآخرة... والمجيب عن كلّ الإشكالات والتّساؤلات التي تواجه فكر الإنسان وعقله، والمثير لكلّ القضايا التي تؤهّل فكر الإنسان لاكتشاف السنن. فالقرآن الكريم ما نزل إلّا لحسم الهويّة المعرفيّة للإنسان.

كما أنّ القرآن الكريم مصدر للمنهج والمعرفة ومقوّمات الشّهود الحضاريّ والعمرائيّ، وإنّ استدعاء القرآن الكريم في إطار واقع عالمي متغيّر بوعي جديد أمر ضروريّ لا مفرّ منه، وهذه الضّرورة تكمن أهمّيّتها في محاولتها

1 - علي بن مصطفى الطنطاوي (المتوفّى: 1420هـ): ذكريات، راجعه وصحّحه وعلّق عليه: حفيد المؤلّف مجاهد مأمون ديرانية، دار المنارة للنشر والتّوزيع، جدّة - المملكة العربيّة السّعوديّة، الطّبعة: الخامسة، 1427هـ - 2006م، 323/6.

2 - ياسر عبد الرّحمن: موسوعة الأخلاق والزّهد والرّقائق (قصص تربويّة من حياة الأنبياء والصّحابة والتّابعين والصّالحين)، مؤسّسة اقرأ للنشر والتّوزيع والترجمة، القاهرة، الطّبعة: الأولى، 1428هـ - 2007م، 178/2. وينظر عثمان جمعة ضميريّة، وسطية الإسلام والأُمّة المسلمة، مجلة البيان، تصدر عن المنتدى الإسلاميّ، العدد 167، ص: 8. نقلاً عن: قضية التّخلف العلميّ والتّقنيّ في العالم الإسلاميّ، زغلول النّجار، ص 137، والإسلام ومشكلات الحضارة، سيد قطب، ص 136، وما بعدها.

3 - ينظر عبد الرّحمن بن معاضة: الدّراسات القرآنيّة الحديثة... الرّوابط: <https://mtafsir.net/forum>

تصحيح كثير من المفاهيم المتعلقة بالتعامل مع القرآن الكريم في الموضوعات الإسلامية كخطوة أولى يؤسس بموجبها الوعي المنهجي الإسلامي المعاصر وإعادة التعامل مع القرآن كمصدر منهجي ومعرفي للعلوم الاجتماعية والطبيعية سيجعل هذه العلوم قادرة على مد الحياة الإنسانية بما يخرجها من أزمتها، وسيعيد الارتباط بين هذه العلوم والقيم ويربطها بمقاصد الحق وغاية الخلق.

حيث أنّ القرآن الكريم يمدنا بالمعارف اليقينية حول ما وراء هذا الوجود وما يتجاوز أبعاد الزمان والمكان، فالمعلومات التي يقدمها القرآن الكريم صادقة ويقينية، والمصادر الأخرى مهما كانت فائدتها فهي ليست مصادر يقينية ولا يمكن أن تقدم إجابات واضحة ودقيقة للتساؤلات المطروحة.

كما يمدنا القرآن الكريم بمعارف يقينية حول كليات السنن الإلهية السارية في هذا الوجود خصوصاً ما اتصل منها بالإنسان المكرّم المستهدف بهداية الوحي الكريم. كما يستوعب القرآن الكريم في تفصيلاته حقيقة الإنسان في أصله وخلقه وتكوينه وحركته على الأرض ومصيره المستقبلي.

لذلك كان لعلوم القرآن نصيب وافر من التجديد في هذا العصر بسبب عامل النهضة الذي انطلق في بداياته من الإيمان بقضية التجديد ولزومها للخروج من واقعا، ولتأثر هذا التجديد بالغرب وما يحمله من أفكار وتصوّرات أوفدها الرواد الأوائل في بدايات عصر النهضة، وكان من جملة تلك الأفكار والتصوّرات ما بثه ونشره الاستشراق وتغلّدت به كتابات الغربيين ومن تأثر بهم، وقد طرحت تلك الأفكار وراجت في الساحة العربية والإسلامية ووجدت أقلاما تكتب فيها، منها المتبني ومنها الناقد ومنها الرافض، وقد كان لها تأثيرها سلبي أو إيجابا، وذلك ظاهر جلي في جلّ الكتابات التي كتبت من بدايات تلك الحقبة وإلى اليوم - وسيأتي ذكر بعض الكتابات المتعلقة بالنهضة وعلوم القرآن في المطلب الرابع - وهذا يقودنا قبل ذلك للحديث عن الاتجاهات الاستشراقية وأثرها في تجديد علوم القرآن.

المطلب الثالث - الاتجاهات الاستشراقية وأثرها في تجديد علوم القرآن

لقد اهتمت مختلف المدارس الاستشراقية بدراسة القرآن الكريم وعلومه، وبرزت في ذلك أقلام كثيرة انبرت للدراسة والبحث والتحليل والنقد في المجال القرآني، وقد استأثرت هذه الدراسات الاستشراقية بمزيد اهتمام الباحثين المسلمين منذ عقود عديدة، وانصب جانب كبير من هذا الاهتمام على مناقشة تلك الدراسات والرّد عليها، وتفنيد مضامينها التشكيكية في القرآن الكريم.

والاستشراق نجده قد تناول بالدراسة القرآن الكريم وما يتعلّق به من قضايا وموضوعات، حيث تناولت الدراسات القرآنية عند المستشرقين عدداً كبيراً من الموضوعات المرتبطة بالقرآن الكريم من منظور استشراقي يختلف كثيراً عن وجهة النظر الإسلامية.

وعلى الرّغم من أنّ معظم موضوعات الدراسات القرآنية عند المستشرقين يدور حول شبهات استشراقية عن القرآن الكريم؛ سواء في ظاهرة الوحي أم أسباب النزول أم مصدرية القرآن، أم ترتيب المصحف، أم غيرها من القضايا؛ فإنّه من الممكن حصر هذه الموضوعات وتقديمها في صورة علمية تعكس الاهتمام العلمي الاستشراقي

بالقرآن الكريم، وتفيد في التعرف على أهمّ مجالات الدّراسات القرآنيّة عند المستشرقين، واتجاهات موضوعات الدّراسات القرآنيّة، كما أنّها تفيد في رصد تطوّر الدّراسات القرآنيّة عند المستشرقين في شكل مستقلّ داخل إطار الدّراسات الإسلاميّة، أو في شكل مقارن داخل إطار مقارنة الأديان، بخاصّة مقارنة الكتب المقدّسة في الأديان حيث أنّ جانباً كبيراً من هذه الدّراسات يهتمّ بمقارنة موضوعات قرآنيّة بموضوعات توراتيّة، أو بموضوعات من العهد القديم، أو العهد الجديد، وذلك لأنّ عدداً كبيراً من المستشرقين متأثّر بالخلفيّة اليهوديّة النّصرانيّة، ويطرح الموضوعات القرآنيّة من منظور يهوديّ نصرانيّ.

وحين نرجع لحركة الاستشراق الغربيّة الحديثة ورؤيتها للقرآن الكريم نجدها لم تتوقّف عن الاهتمام بالدّراسات القرآنيّة وما يتعلّق بالقرآن من علوم مختلفة، فقد ظهرت مدارس وشخصيّات استشراقيّة متعدّدة، قدّمت دراسات كثيرة حول القرآن الكريم وعلومه بمختلف اللّغات الأوروبيّة؛ كالإنكليزيّة، والألمانيّة، والفرنسيّة، وغيرها... وقد بلغت جهودهم وأعمالهم البحثيّة مبلغ إصدار موسوعات وإقامة مشاريع بحثيّة مشتركة، ومن المشاريع البحثيّة الحديثة المطروحة في الغرب.

من تلك المشاريع الاستشراقيّة الغربيّة الحديثة مشروع الموسوعة القرآنيّة الألمانيّة، الذي بدأ تنفيذه عام 2007م، وتستمرّ فعاليّاته حتّى العام 2025م، وترعاه أكاديميّة برلين- براندنبورج للعلوم، وتُشرف عليه المستشرقة الألمانيّة المعاصرة "أنجليكا نويفيرت"، ويتولّى إدارته تلميذها "مايكل ماركس"، ويتركّز عمل الباحثين فيه على أربعة مجالات؛ هي:

- أ - دراسة المخطوطات القرآنيّة.
- ب - والمقارنة بين قراءات القرآن.
- ج - والتعرّف إلى الطّروف التاريخيّة والدينيّة والثّقافيّة والاجتماعيّة والسياسيّة في عصر نزول القرآن.
- د - وكذلك الدّراسة التاريخيّة والأدبيّة للنصّ القرآني¹.

وهذا يدفعنا لرصد الاتجاهات الاستشراقيّة الحديثة وبيان مدى تأثيرها في تجديد علوم القرآن. ونطلق في ذلك من قول الأستاذ محمّد حسين الصّغير حين تتبّع جهود المستشرقين وخرج بالخلاصة التّالية: "ومن خلال استقراء متنوّع الجهود الاستشراقيّة في الدّراسات القرآنيّة وجدنا أهمّ أعمالهم تدور حول الموضوعات التّالية بحسب أهمّيّتها عندهم، أو بحسب ما أنتجوه فيها:

- 1 - تأريخ القرآن الكريم، وكلّ ما يتعلّق بأسباب نزوله، وتأريخ سوره، ومكيّه ومدنيّه، وقراءاته ولهجاته، وكتابه وتدوينه، وما دار في هذا الفلك من رأي، أو فكرة أو نظريّة.
- 2 - ترجمة القرآن إلى مختلف اللّغات العالميّة والألسن الحيّة، ترجمة حرفيّة أو تفسيريّة أو لغويّة، جزئيّة وكليّة.

1 - ينظر مقدّمة المركز الإسلاميّ للدّراسات الاستراتيجيّة، على كتاب دراسات استشراقية معاصرة للقرآن الكريم المدرستان الفرنسية والألمانية أنموذجاً (تحليل ونقد)، للأمير محفوظ أبو عيشة، سلسلة القرآن في الدّراسات الغربيّة، المركز الإسلاميّ للدّراسات الاستراتيجيّة، الزايط: <https://www.iicss.iq/?id=3295>

3 - نشر ما كتب عن القرآن وما أُلّف فيه، وتحقيق النصوص القديمة في آثاره، والتدوين والفهرسة بمختلف الأصناف.

4 - بعد هذا وجدنا البحوث العامّة، والدراستات المتنوّعة التي تنبثق عن القرآن في علومه وفنونه وبلاغته، ومسايرته للحياة في الفنّ والفلسفة والاجتماع¹.

فمن خلال هذه البسطة الموجزة، ومما ذكرناه سابقاً، ومن خلال المشاريع الاستشراقية المعاصرة يمكن رصد الاتجاهات التالية:

أولاً - الاتجاه القائل بتاريخ القرآن:

وهو اتجاه قائم بذاته، ويرجع الأمر فيه إلى الجهود المبكرة الداعية لإنجاز ترتيب تاريخي للّسور القرآنيّة، والذي كان رائده المستشرق الألماني تيودور نولدكه (1836 - 1930) بالاعتماد على التّقد التاريخي والنّصي، أو ما يسمّى الفيلولوجيا² (العلوم اللّغوية)، ولئن كانت أعمال نويرت عن السور المكّيّة ذات طبيعة أدبيّة إلا أنّها تنزّل أيضاً في سياق إعادة النّظر في التّرتيب التاريخي للّسور استناداً إلى الأسلوب، إضافة إلى أعمال مستشرقين آخرين في تأريخ السور، حيث يمكن عدّها جميعاً في خطّ نقد وتطوير التسلسل الزمّني الذي وضعه نولدكه، لكنّها لم تقدّم بديلاً عنه³.

ويعدّ تيودور نولدكه مؤسس الدراسات النّقدية عن القرآن الكريم متأثراً بمنهجية دي ساسي وإيفالد. وهو صاحب تأثير كبير على المستشرقين من بعده في دراسة القرآن الكريم. ويظهر التّأثير بعلم نقد العهد القديم عند نولدكه في دراسته للقرآن الكريم في الأعمال التالية⁴:

رسالته للدكتوراه، وعنوانها: أصل وتركيب سور القرآن (1856 - 1860)، وقد نال عليها جائزة مجمع الكتابات والآداب في باريس (1858) ويظهر من عنوان الرسالة تأثير المنهج في نقد العهد القديم. وهو منهج يقوم على دراسة المصدر أو المصادر، والبنية الأدبيّة للنّص. ومن الواضح أنّ اهتمام نولدكه بتطبيق منهج نقد العهد القديم على القرآن الكريم قد بدأ منذ إعداد رسالته للدكتوراه، وقد عُيّن فيما بعد أستاذاً لنقد التّوراة في جامعة كييل (1864) فجمع بهذا بين التّخصّص في نقد التّوراة ونقد القرآن.

وقد أعاد نولدكه النّظر في رسالته للدكتوراه مرّتين، فأعاد كتابتها من أجل الحصول على جائزة مجمع الكتابات والآداب في باريس، ثمّ أعاد النّظر فيها مرّة ثانية، وقام بترجمتها من الفرنسيّة إلى الألمانيّة معطياً لها عنواناً

1 - محمّد حسين علي الصّغير: المستشرقون والدراستات القرآنيّة، دار المؤرّخ العربيّ، بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى: 142هـ - 1999م، ص: 6.

2 - هي علم الفيلولوجيا (العلوم اللّغوية)، "علم يبحث عن أصول الكلمات واشتقاقها".

3 - ينظر عبد الرّحمن حللي، الدراستات القرآنيّة المعاصرة، في العالم العربيّ والدراستات الغربيّة، موقع مركز تفسير للدراستات القرآنيّة، الرّابط:

<https://tafsir.net/interview/36/ad-drasat-al-qr-aanyt-al-m-asrt-fy-al-alm-al-rby-waldrasat-al-ghrbyh>

4 - ينظر في هذا محمّد حسين الصّغير: المستشرقون والدراستات القرآنيّة، ص: 22 وما بعدها.

جديدا يربطها أكثر بالمنهج في نقد العهد القديم، فقد حمل الكتاب المنشور في جوتنجن عام (1860) عنوان: تاريخ النصّ القرآنيّ، من خلال البحث في تاريخ السور والآيات القرآنيّة.

وقد اشتغل على هذا الكتاب المصدر في موضوعه عدد من المستشرقين، فقد جدّده المستشرق شوالي بعد تحقيقه والتعليق عليه في مجلدين نشر لبيزج (1909 - 1919)، كما قام المستشرق برجش تراسر والمستشرق برتسل بنشر الجزء الثالث منه في لبيزج (1926 - 1935)، ثمّ أعاد طبعه منقّحا عام (1938).

وهكذا يمكن القول بأنّ هذا الكتاب استغرق ما يزيد على ثمانين عاما من العمل المتواصل بين تأليف وزيادة، وتنقيح، وتصحيح وترجمة، وذلك منذ إعداده كرسالة دكتوراه عام (1856) وحتى نشر برجش تراسر ويرتسل للجزء الثالث منه عام (1938) مع ملاحظة التطور الذي أُدخل على العنوان، من عنوان الرسالة: أصل وتركيب سور القرآن، إلى عنوان الكتاب: تاريخ النصّ القرآنيّ.

ويشير العنوان المختار للكتاب إلى تطبيق تام لمنهج نقد العهد القديم على القرآن الكريم، فمدرسة نقد العهد القديم اهتمّت بمسألة الوصول إلى تاريخ نصوص العهد القديم بداية بتاريخ النصّ التوراتيّ، وانطلاقا إلى تحديد تواريخ لنصوص العهد القديم الأخرى. وقد تحوّل كتاب نولدكه هذا إلى مصدر أساسي لكلّ الدّراسات الاستشراقية عن القرآن الكريم.

ثانيا - اتجاه العناية بالمخطوطات القرآنيّة:

وهو من الاتجاهات الأكثر تطوّرًا في الدّراسات القرآنيّة التي عُنيّت بالمخطوطات القرآنيّة المبكّرة، ومن أبرز المهتمين به الفرنسيّ ديروش، وتُعَدّ دراسة المخطوطات جزءًا أساسيًا من المشروع الألمانيّ كوربوس كورانيكم، والذي يُعَدّ إحياء لمشروع قديم بدأه بيرجستر، ويهدف إلى إنجاز نسخة نقدية من القرآن، استنادًا إلى المخطوطات والمصادر القديمة والقراءات، ومثّل اكتشاف مصحف صنعاء ومصاحف أخرى، وتطبيق تقنيات تأريخ المخطوط عليها بابًا لآفاق جديدة من العمل على المخطوطات ولا يزال مستمرًا، على أنّ المشروع يجمع بين فرضيات مختلفة في الدّراسات القرآنيّة؛ منها البحث عن المطابقة النصّية بين القرآن وغيره، ومقارنة لغة القرآن وموضوعاته مع كلّ الاحتمالات الممكنة ممّا كان في محيط النصّ من أديان وثقافات ولغات، وتفسير النصّ على أساسها، وصولًا إلى إنجاز نصّ محقق للقرآن، وإنجاز تفسير وترجمة للقرآن تأخذ بالاعتبار المعطيات التي تمّ جمعها¹.

وتعود جذور العناية الاستشراقية بمخطوطات المصاحف إلى القرن الثامن عشر الميلادي، حيث ظهر هذا الاشتغال العلميّ أوّل ما ظهر مع اللاهوتيّ والمستشرق الدنماركيّ جاكوب كرستيان جورج أدلر (1756-1834م). كان أدلر مهتمًا بالكتابات الكوفيّة، ودرس عددًا من القطع القرآنيّة القديمة المحفوظة في المكتبة الملكيّة بكوننجاغن.

1 - ينظر عبد الرحمن حللي، الدّراسات القرآنيّة المعاصرة، الرابط: <https://tafsir.net/interview/36/ad-drasat-al-qr->
aanyt-al-m-asrt-fy-al-alm-al-rby-waldrasat-al-ghrbyh

وقد كان الاهتمام في الدوائر الأكاديمية آنذاك منصباً على (الباليوغرافيا)؛ وهي علم دراسة الخطوط القديمة وتطورها استناداً إلى الوثائق المادية. فكانت إرهابات العناية بالمصاحف المخطوطة في الغرب المسيحي من باب التعرّف على الخطوط العربية القديمة وتطورها عبر الأزمان والأعصار¹.

ثمّ وقع تطوّر نوعي في منتصف القرن التاسع عشر رافق حركة نقل المخطوطات القرآنية إلى المكتبات الأوربية من قبَل الرّحالة والمستشرقين الفرنسيين والألمان والإنجليز الذين كانوا ينشطون في البلاد الإسلامية كمصر وبلاد الشام والعراق؛ فنظّمت الأكاديمية الفرنسية للنقوش والآداب عام 1858م مسابقة لأفضل عمل نقدي يؤلّف في تاريخ القرآن، وألحّت إلى الرّقوق القرآنية القديمة التي استحوذت عليها المكتبة الملكية (المكتبة الوطنية الفرنسية اليوم) من تركة المستشرق ونائب القنصل الفرنسي في القاهرة آسلان دو شرفيل عام 1833م، وقد استولى عليها الأخير من جامع عمرو بن العاص بالفسطاط².

وقد شارك في هذه المسابقة تيودور نولدكه الذي قدّم عام 1860م أطروحته المشهورة (تاريخ القرآن) والتي تحوّلت لاحقاً إلى كتاب من عدّة أجزاء شارك في تحريره تلميذه شفالي، وأوتو برتزلز، وبرجستراسر. وفي النصف الأوّل من القرن العشرين، اشتغل عدد من المستشرقين - منهم برتزلز وبرجستراسر وجيفري - على تحقيق ونشر مجموعة من كتب علم الرّسم والقراءات كالمقنع للدائيّ والمصاحف للسجستانيّ والمحتسب لابن جني وغيرها، كما قاموا بتصوير آلاف الأوراق من المصاحف العتيقة المحفوظة في عددٍ من خزائن الكتب في شمال أفريقيا وأوروبا. وكانوا يأملون بعملهم هذا إصدار نسخة نقدية للقرآن الكريم بدعم أكاديمية العلوم البافارية بميونخ - وهو ما يعرف بمشروع الحواشي النقدية - لكنّ الظروف السّياسية حالت دون تمكّنهم من إنجاز هذا العمل على الوجه الذي يرضيهم، وتوقّف هذا المشروع تماماً بحلول الحرب العالمية الثّانية، ورثاه المستشرقون وتحسّروا عليه.

وقد ضُعِفَ الاهتمام الاستشراقيّ بالمصاحف العتيقة بعد عام 1945م بوفاة أساطين هذا المجال، ثمّ عاود الظّهور مجدّداً بعد اكتشاف مصاحف الجامع الكبير بصنعاء عام 1973، فأشرقت شمس هذه الدّراسات من جديد، وصارت اليوم جزءاً من الدّراسات القرآنية الغربيّة، وهو ما نلحظه من هذا الحضور البارز في الأوراق الأكاديمية المنشورة في المجلّات العلميّة الغربيّة ابتداءً من عام 2010م مروراً بالنّدوات والمؤتمرات والورشات التي تقام سنويّاً حول موضوع كوديكولوجيا وباليوغرافيا المصاحف العتيقة، وانتهاءً بالمشاريع العلميّة الكثيرة التي يموّلها الاتحاد الأوروبي، وتأسيس كراسي للقرآن الكريم في المؤسّسات والمعاهد الأوروبيّة والأمريكيّة³.

1 - ينظر أحمد وسام شاكر، مخطوطات المصاحف بين التناول الإسلاميّ والاستشراقيّ، الواقع - الإشكالات - الآفاق (1-2)، إعداد: فريق موقع التفسير، مركز تفسير للدّراسات القرآنية، الرّابط: <https://tafsir.net/interview/39/mkhtwtat-al-> msahf-by-n-at-tnawl-al-islamy-walastshraqy-al-waq-al-ishkalat-al-aafaq-1-2

2 - ينظر المرجع نفسه.

3 - ينظر أحمد وسام شاكر، مخطوطات المصاحف الرّابط: <https://tafsir.net/interview/39/mkhtwtat-al-msahf-by-n-at-tnawl-al-islamy-walastshraqy-al-waq-al-ishkalat-al-aafaq-1-2>

ولا مانع أن نعطي لمحة - ولو موجزة - عن مخطوطات مصاحف صنعاء التي ذكرناها خلال الكلام السابق، حيث عُثِر في سقف الجامع الكبير في صنعاء، أثناء ترميمه في عام 1385هـ - 1965م على ما يقارب الـ 4500 مخطوط¹، إضافة إلى 12000 رقّ تحوي 800 مصحفاً، من بينها مائة مصحف مزخرف، وترجع جميعاً إلى القرون الهجرية الخمسة الأولى، وقد أعيدت إلى خزائنها، قبل أن يُعاد استخراجها عام 1392هـ - 1972م².

وقد طلبت الحكومة اليمينية من الحكومة الألمانية مساعدتها بالعناية بالمخطوطات وترميمها، فأوفدت ألمانيا اثنين من أساتذة جامعة سارلاند الألمانية، وهما "جيرد يوسف بوئن" المتخصص بالخط والرسم العربي، وزميله "غراف فون بوتمر" المتخصص في تاريخ الفن الإسلامي، وبدأ العمل من عام 1984م إلى عام 1997م، وقاما بترميم ما يقارب 15000 صفحة قرآنية، وأنهيا عملهما بتصوير (35000) صورة من الوثائق التي اصطحبها معها إلى ألمانيا لدراستها³.

وفي شهر يناير عام 1999م كتب موظف أمريكي يعمل في مجال الإغاثة يدعى "توبي لستر" مقالاً بعنوان: "ما القرآن" في مجلّة "أتلانتيك مونثلي" المرموقة، زعم فيه هذا الكاتب الهاوي (غير المتخصص) وجود اختلاف بين المخطوطات الصنعائية والنصّ القرآني المتداول، وأنّ الباحثين الألمانين لديهما ما يخفيانه، فتصدّى له أولهما؛ جيرد بوئن في رسالة بعث بها إلى القاضي إسماعيل الأكوغ، أكدّ فيها تطابق المخطوطات الصنعائية مع النصّ القرآني المتداول عند المسلمين⁴. كتب جيرد بوئن: "وأما الحقيقة فتفتخر اليمن بكنز فريد في العالم، وهو بقايا أقدم المصاحف في العالم.. هذه البقايا ترجع إلى القرن الأوّل للهجرة.. لا تختلف المصاحف الصنعائية عن غيرها الموجودة في متاحف العالم ودور كتبه إلا في تفاصيل لا تمسّ القرآن كنصّ مقروء، وإتّما الاختلاف في الكتابة فقط، هذه الظاهرة معروفة حتّى في القرآن المطبوع في القاهرة، حيث ورد كتابة (إبراهيم) على جانب (أي بدلاً من) (ابراهيم)، (قرآن) على جانب (قرن)"⁵. ولهذا ينبغي على الباحث المسلم أن يدرك حقيقتين مهمتين⁶:

أولاً - البحوث الاستشراقية الغربية لم تتجاوز السردية الإسلامية، بل إنّها اليوم تعيش مرحلة استعادة الثقة بها تدريجياً، وهذا ما أكّد عليه موتزكي في مقاله ذائع الصيت (جمع القرآن: إعادة تقييم المقاربات الغربية في ضوء التطوّرات المنهجية الحديثة) المنشور عام 2001م، بقوله: «...لكن الآراء الغربية التي تدّعي أنّها تستبدل بالسردية

1 - ينظر منقذ بن محمود السقار، مقال: مخطوطات القرآن المكتوبة في القرن الهجري الأوّل تشهد بموثوقية نصّ القرآن العظيم، موقع

إعجاز القرآن والسنة، الجمعة/مايو/2022، الرابط: <https://quran-m.com>

2 - ينظر المرجع نفسه.

3 - ينظر المرجع نفسه.

4 - ينظر المرجع نفسه.

5 - ينظر المرجع نفسه.

6 - ينظر أحمد وسام شاكرا، مخطوطات المصاحف، الرابط: <https://tafsir.net/interview/39/mkhtwtat-al->

msahf-byn-at-tnawl-al-islamy-walastshraqy-al-waq-al-ishkalat-al-aafaq-1-2

الإسلامية سردية أكثر منطقية، وأكثر موثوقية من الناحية التاريخية؛ من الواضح أنها بعيدة كل البعد عما يدّعيه أصحابها لأنفسهم». في المقابل، تميل البحوث الأخيرة إلى قبول «النواة الأساسية» لروايات جمع القرآن في عهد الخليفة عثمان بن عفان.

ثانيًا - البحوث الحديثة التي أُجريت على المخطوطات القرآنية المبكرة - بخاصة المدعومة بالتحليلات الفيزيائية التي أعادت عشرات الرقوق القرآنية العتيقة إلى القرن الأول الهجري - عززت من مصداقية الرواية الإسلامية وأحرجت التيار التنقيحي وعادت به خطوات إلى الخلف.

ويُخلص مايكل ماركس وتوبياس واكيم في دراستهما المنشورة عام 2019م بعنوان: (تأريخ المخطوطات القرآنية باستخدام الكربون المشع) إلى أن نتائج التحليلات الكربونية التي أُخضعت لها تلك القطع - تقوّض فرضية الجمع المتأخر للقرآن وظهور الإسلام في القرن الثامن عوضًا عن القرن السابع الميلادي. وهو الأمر الذي أكّد عليه أيضًا فرانسوا ديروش؛ إذ يرى أن الأدلة الجديدة التي قدّمها لنا المخطوطات القرآنية المبكرة - تُنهي سجل الجمع المتأخر للقرآن الذي أثارته المدرسة الشكوكية.

ثالثًا - الاتجاه اللغوي والأدبي:

فالأول يمكن التمثيل له بأثر جفري (1892 - 1959م) المستشرق الأسترالي، وقد عمل أستاذًا في قسم دراسات الشرق الأوسط، له دكتوراه في الدراسات الاستشراقية، وباحث مختصّ في تاريخ القرآن، وقد اعتنى بمفردات القرآن وأصولها الأجنبية¹. وقد قام منهجه على الخطوات التالية:

الأولى: رصد معنى الكلمة الدخيلة في عدد من كتب التفسير القرآني (خاصة تفاسير الطبري والزخشري والبيضاوي) ومن كتب علوم القرآن؛ خاصة «الإتقان في علوم القرآن» للسبوي.

والثانية: تعيين معنى الكلمة لغةً في المعاجم العربية، مثل «لسان العرب» لابن منظور و«المعرب» للجواليقي.

والثالثة: ضبط أصول الكلمة موضوع الدرس في السريانية والآرامية والعبرية، وذلك بإثبات رسمها وتعيين دلالتها².

والإتجاه الأدبيّ أبرز من يمثله أعمال نويغرت على السور القرآنية - تكلمنا عنه سابقا - وأعمال ميشيل كويبرس على البلاغة السامية في السور القرآنية، وآخرون³. وكويبرس هو رجل دين كاثوليكي، من أتباع شارل دو

1 - ينظر عبد الرحمن حللي، الدراسات القرآنية المعاصرة، الرابط: <https://tafsir.net/interview/36/ad-drasat-al-qr-aanyt-al-m-asrt-fy-al-alm-al-rby-waldrasat-al-ghrbyh>

2 - ينظر فرست مرعي، مقال: اكتشاف النصّ القرآنيّ رد على شبهات قديمة جديدة، أرشيف مجلة البيان العدد 342 صفر 1437هـ نوفمبر 2015م، في دائرة الضور، موقع مجلة البيان، الرابط: <https://www.albayan.co.uk/MGZarticle2.aspx?id=4737>

3 - ينظر عبد الرحمن حللي، الدراسات القرآنية المعاصرة، الرابط: <https://tafsir.net/interview/36/ad-drasat-al-qr-aanyt-al-m-asrt-fy-al-alm-al-rby-waldrasat-al-ghrbyh>

فوكو، عاش في مصر منذ العام 1989 كعضو في المعهد الدومينيكي للدراسات الشرقية (IDEO)، وتخصّص في الدراسة الأدبية للنصّ القرآنيّ، لا سيما فيما يتعلّق بتركيبه وبعلاقاته النصّية مع الأدب المقدّس المتقدّم تاريخيًا. ويتمثّل منهجه، في¹:

أولاً: القدرة على تسييق الآيات القرآنيّة في مجالات دلاليّة أوسع تستطيع كشف معانٍ أكثر تماسكًا - وفقًا له - للآيات.

ثانيًا: القدرة على كشف التناص بين النصّ القرآنيّ وغيره من النصوص المحيطة به والسابقة. ثالثًا: القدرة على استكشاف مستويات الآيات داخل فضاء النصّ القرآنيّ، والتفريق بين آيات محورية وأخرى فرعية، وهذا من شأنه ضبط عملية تفسير القرآن الكريم بالوقوف على المرتكزات المحورية للنصّ. كما أنّ هناك اتجاهات أخرى جزئية، منها التيبولوجي، يعنى بالمطابقة المحتملة بين القرآن ونصوص أخرى سابقة، وهو اتجاه قديم في الدراسات القرآنيّة الغربيّة تمّ تطبيقه في دراسة القصص القرآنيّ عن الأنبياء، وهناك استعادة لهذا الاتجاه مؤخرًا.

المطلب الرابع - نماذج من الدراسات التجديدية الحديثة في علوم القرآن

من خلال عبارة الدراسات والبحوث يفهم القارئ المدلول الواسع لها حيث تشمل كلّ ما يتّصل بالقرآن الكريم من دراسات وعلوم، فيدخل في ذلك التفسير وعلومه، والقراءات، والرسم، والإعجاز، واللغة القرآنيّة، والموضوعات القرآنيّة، والقراءات والتأويلات للنصّ القرآنيّ، والمسائل القرآنيّة المستحدّة، وما يتعلّق بالشبهات المثارة حول القرآن الكريم والردود عليها، إلى غير ذلك، ولهذا فالدراسات التي تدور حول القرآن الكريم في القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين كثيرة ومتنوّعة ومتعدّدة وقد نشطت نشاطا كبيرا، بحيث تناولت جوانب عدّة ومختلفة في نوعية دراستها.

يقول الشيخ مناع القطان: "ولم يكن نصيب علوم القرآن من التّأليف في عصر النّهضة الحديثة أقلّ من العلوم الأخرى، فقد اتّجه المتصلون بحركة الفكر الإسلاميّ اتجاهًا سديدًا في معالجة الموضوعات القرآنيّة بأسلوب العصر مثل كتاب "إعجاز القرآن" لمصطفى صادق الرّافعيّ، وكتابي "التّصوير الفنّي في القرآن" و"مشاهد القيامة في القرآن" للشّهيد سيد قطب. و"ترجمة القرآن" للشيخ محمّد مصطفى المراغيّ، وبحث فيها لمحّبّ الدّين الخطيب، و"مسألة ترجمة القرآن" لمصطفى صبري، و"النّبأ العظيم" للدكتور محمّد عبد الله درّاز، ومقدّمة تفسير "محاسن التّأويل" لمحمّد جمال الدّين القاسمي. والوحي المحمّدي لمحمّد رشيد رضا. وألّف الشيخ طاهر الجزائريّ كتابًا سمّاه "التّبيان في علوم القرآن". وألّف الشيخ محمّد علي سلامة كتابه "منهج الفرقان في علوم القرآن" تناول فيه المباحث المقرّرة بكلّيّة أصول الدّين بمصر تخصّص الدّعوة والإرشاد. وتلاه الشيخ محمّد عبد العظيم الرّزقانيّ فألّف كتابه "مناهل العرفان في علوم القرآن". ثمّ الشّيخ أحمد أحمد علي في "مذكّرة علوم القرآن" التي ألّفها على طلبه

1 - ينظر خليل محمود اليماني، مقال: البلاغة الساميّة في القرآن، موقع مركز تفسير للدراسات القرآنيّة، الرابطة:

<https://tafsir.net/translation/45/al-blaght-as-samy-yat-fy-al-qr-aan>

بالكلية، قسم إجازة الدعوة والإرشاد. وصدر أخيراً "مباحث في علوم القرآن" للدكتور صبحي الصالح. ولالأستاذ أحمد محمد جمال، أبحاث "على مائدة القرآن". هذه المباحث جميعها هي التي تُعرف بعلوم القرآن، حتى صارت علمًا على العلم المعروف بهذا الاسم¹.

وما ذكره مناع القطان إنما هو نماذج قليلة من جهد كبير، لكنّه أعطانا صورة في موضوعات ملوّنة من علوم القرآن، وعليه فكما شمل التّجديد في علوم القرآن مجالات مختلفة فإنّه كذلك شمل تخصّصات عدّة، يمكن الإشارة إليها بإيجاز في النقاط التالية:

- تحقيق الموسوعات الجامعة التّراثية في علوم القرآن.
- تحقيق الكتب المفردة في مبحث من مباحث علوم القرآن.
- التّأليف الجامع في علوم القرآن مع تجديد موضوعاته وإعادة ترتيبها وعرضها.
- تخصيص الكتابة في الرّسائل العلميّة الأكاديميّة في موضوعات علوم القرآن.
- إقامة المؤتمرات العلميّة والبحوث والمقالات لدراسة المسائل المستحدّة في علوم القرآن.
- ظهور الدّراسات في علوم التّفسير، وكذا ظهور التّفاسير المعاصرة التي أخذت لمسة تجديديّة مثل تفسير الظّلال والمنار والتحرير والتّنوير وغيرها.
- ومن التّخصّصات التي نالت قسطا وافرا من التّأليف المعاصر ما يتعلّق بالإعجاز، وذلك في مجالاته المختلفة؛ العلميّ والبيانيّ والغبيّ و... الخ.

المطلب الخامس - الحدائثيون وموضوعات التّجديد في علوم القرآن

ومن الملامح المهمّة للنصّ القرآنيّ في ظلّ الدّراسات القرآنيّة الحديثة ظهور الدّراسات والأبحاث الجديدة والمتنوّعة، والتي منها: الدّراسات في المفردة القرآنيّة، والإعجاز القرآنيّ، ودراسات في فقه السنن القرآنيّة، والدّراسات المقاصديّة للقرآن الكريم، ودراسات تحليل الخطاب القرآنيّ، ودراسات تحليل المفهومات القرآنيّة، والدّراسات في أصول التّفسير وقواعده، وقضايا التّأويل، ومناهج المفسرين، والتّفسير الموضوعيّ... وغيرها من الدّراسات الحديثة.

ومن الموضوعات القرآنيّة التي خاض فيها الحدائثيون، وألحقت بعلوم القرآن، أو توسّعت البحث فيها، وأخذت جهدا معتبرا من البحث عند العلماء، مثل: الوحي، التّرجمة، الإعجاز، تاريخ القرآن، خصائص الأسلوب القرآنيّ، المقاصد الكلية للقرآن، السنن القرآنية الكونية، القراءات والتّأويلات الحديثة،.. الخ.

فموضوع الوحي - مثلا - من أهمّ الموضوعات التي تحدّث عنها الحدائثيون، كونهم يبحثون في قراءتهم عن تجريد القرآن من قدسيّته وغبيّيته، وجعله بشريّا يقبل التّقذ والمراجعة، ولذا يعتبر اليوم موضوع الوحي من الموضوعات الجديدة أو التي جُدّد البحث فيها في دراسات علوم القرآن، فنجد ممّن أعطاها أهميّة الزّرقانيّ في كتابه

1 - مناع بن خليل القطان (المتوفّي: 1420هـ): مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتّوزيع، الطّبعة: الثالثة 1421هـ-2000م، ص: 11.

مناهل العرفان، وكذلك أبو شُهبة في كتابه المدخل لدراسة القرآن الكريم، وصبحي صالح في كتابه مباحث في علوم القرآن حيث أفرد فصلا لظاهرة الوحي، ومَناع القطان في كتابه مباحث في علوم القرآن، وكذلك فهد الرومي في كتابه دراسات في علوم القرآن، ومحمد رشيد رضا خصصه بكتاب مستقل سماه: الوحي المحمدي، ومحمد حسين الذهبي له كتاب بعنوان: الوحي والقرآن الكريم، وضياء الدين عتر له كتاب مسمّى: وحي الله حقائقه وخصائصه حسن، وعماد علي عبد السميع حسين له كتاب بعنوان: الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده، ومن أراد معرفة أقوال الحدائين في ظاهرة الوحي فليرجع لكتاب التّجديد في علوم القرآن بين المشروع والممنوع، دراسة تحليلية مقارنة، لزياد أحمد سعد الزّبادي.

والموضوعات التي طرحها الحدائون ولاققت اهتماما من علماء علوم القرآن كثيرة، ونحن نعلم أنّ الحدائين اعتمدوا في تطبيق أفكارهم والتّرويج لها على أمرين، أولهما المادّة الاستشراقية، وثانيهما المناهج الغربية الحديثة، ولا تكاد تجد حدثا يخرج عن هذين الأمرين في كلامه عن القرآن وعلومه، ونحن هنا سنقف على موضوعين من موضوعاتهم حتّى نبين كيف كان لهما أثر في تجديد علوم القرآن.

الموضوع الأول تاريخية القرآن الكريم:

من مناهج الحدائين في قراءة النصّ القرآني اعتمادهم على المنهج التاريخي، لذا استفادوا من المستشرقين في موضوع تاريخ القرآن، وبدورهم كان لهم تأثير في دفع الدراسات القرآنية المتعلقة بعلوم القرآن للبحث في هذا الموضوع، فكان عمل المستشرقين مادّة خصبة للحدائين، والحدائون حركوا الموضوع في كتاباتهم، ما جعل المؤلفين يهتمون بموضوع تاريخ القرآن، سواء ضمن الحديث عن موضوعات هذا العلم أم تخصيصه ببحث مستقلّ.

ونسأل أولا عن المراد بتاريخية القرآن (توثيق القرآن ونقله)؟ يفيد لفظ تاريخية النسبة إلى التاريخ: فعندما يوصف به الشّيء فإنّ ذلك يعني أنّ ذلك الشّيء له وجود حقيقيّ، أي أنّه وجد فعلا وجودا تاريخيا يتحدّد بالزّمان والمكان، وليس مجرد وجود افتراضيّ أو أسطوريّ.

وبهذا المعنى فالقرآن نصّ تاريخيّ، بمعنى أنّه وجد وجودا حقيقيا في زمن ومكان. وهو نفسه يؤكّد ارتباطه بالزّمان والمكان، فيقول تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾¹، هذا فضلا عن إشارته إلى أحداث تاريخية وقعت في عصره، مثل ﴿الم، غُلِبَتِ الرُّومُ، فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ، فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾²، والأمثلة كثيرة وهي كلّها تؤكّد تاريخية القرآن. الشّيء الذي لا يسمح بتاتا بنسبة أيّ نوع من الوجود الأسطوريّ لهذا الكتاب. ولهذا يعرف علم اللّغة التاريخي، بأنّه: فرع في علم اللّغة يتناول تطوُّرها من الناحية التاريخيّة³.

1 - الإسراء 106.

2 - الروم 1-3.

3 - أحمد مختار عمر: معجم اللّغة العربيّة المعاصرة، 83/1.

لكن الذي ترمي إليه التاريخية - في نظر الغربيين والحدائين ومن على شاكلتهم - هي نزع القدسية عن القرآن الكريم، وتحويله إلى نصّ بشريّ متأثر بلغة أهله وثقافتهم وإبعاد قراءته عن تلك القراءة التقليديّة التي قدّسته ورفعته فوق مستوى البشر، وما دام قد ظهر في ذلك العصر فإنّه لا يمكن أن ينجو من تأثير الواقع، هكذا هي النظرة التاريخية للقرآن الكريم عند هؤلاء.

جاء في المعجم الفلسفيّ في بيان دلالة التاريخية: "والتاريخية هي القول أنّ الأمور الحاضرة ناشئة عن التطوّر التاريخي، ويطلق هذا اللفظ أيضا على المذهب القائل أنّ اللّغة، والحقّ، والأخلاق، ناشئة عن إبداع جماعيّ، لا شعوريّ، ولا إراديّ، وإنّ هذه الأمور قد بلغت الآن نهايتها، وأنك لا تستطيع أن تبدل نتائجها بالقصد ولا أن تفهمها على حقيقتها إلّا بدراسة تاريخها؛ ويرى أصحاب هذا المذهب أيضا أنّنا لا نستطيع أن نحكم على الأفكار والحوادث إلّا بالنسبة إلى الوسط التاريخي الذي ظهرت فيه لا بالنسبة إلى قيمتها الداتية لا غير، لأننا إذا نظرنا إليها من الناحية الداتية فقط ربّما وجدناها خاطئة أو منكّرة، ولكننا إذا نسبناها إلى الوسط التاريخي الذي ظهرت فيه وجدناها طبيعيّة وضروريّة"¹.

ومّا ذكرنا فيما يتعلّق بتاريخية القرآن أو تاريخية النصوص فإنّ لها بُعدين اثنين؛ الأول تاريخية القرآن من حيث بنيته، وكونه إفرازا ثقافيا مجتمعا معين أو بعبارة أوضح كونه منتجا بشريا بعيدا عن التعالي والتقدّيس، والثاني تاريخية القرآن من حيث أحكامه وتشريعاته أي كونه استجابة لظروف وملابسات اجتماعية واقتصادية وسياسية معيّنة². وفيما يتعلّق بتوثيق القرآن (تاريخية القرآن) فإنّ من أوائل الدراسات الفيلولوجية النصّية المقارنة للقرآن كانت عام 1856م للمؤلف تيودور نولدكه، بعنوان: "أصل وتركيب سور القرآن" والذي نشره بعدما أعاد النّظر فيه وطوره عام 1880م بعنوان "تاريخ القرآن" وقد ترجم إلى العربيّة 2004م³. وقد سبقت الإشارة إليه.

يتألّف الكتاب من أبحاث أدبيّة تاريخية، تسعى إلى أن تؤرّخ للنصّ القرآني، أي أن تعالجه كوثيقة من وثائق التاريخ الإنسانيّ، رابطة إيّاه بموقعه في الحياة، لتتابع بعد ذلك عمليّة جمعه وتعدّد قراءاته. ويحاول نولدكه أن يفسّر ظاهرة النبوة بطريقة لا تتفق ومعطيات الإيمان.

ومن النتائج التي يقرّها تيودور نولدكه ما ذهب إليه من أنّ جوهر النّبّيّ يقوم على تشبّع روحه بفكرة دينية ما، تسيطر عليه أخيرا، فيتراءى له أنّه مدفوع بقوة إلهية ليبلغ من حوله من الناس تلك الفكرة على أنّها حقيقة آتية من الله.

1 - جميل صليبا (المتوفى: 1976م): المعجم الفلسفيّ، الشركة العالمية للكتاب - بيروت، تاريخ الطبع: 1414 هـ - 1994م، 229/1.

2 - ينظر مصطفى باحو أبو سفيان السلاويّ المغربيّ، العلمانيون العرب وموقفهم من الاسلام، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة - جمهورية مصر العربيّة، الطّبعة: الأولى، 1433هـ - 2012م، ص: 145.

3 - عبد الرحمن بن معاضة: الدراسات القرآنية الحديثة... الزابط: <https://mtafsir.net/forum>

والجزء الثاني من الكتاب، يعالج مسألة جمع القرآن الكريم. وهو يناقش مسألة الجمع الأول الذي قام به زيد بن ثابت وسواه من المصاحف التي سبقت مصحف عثمان، ثم يتناول نشوء مصحف عثمان بدراسة مفصلة للروايات. ويتطرق إلى ما يقال عن تحريف بعض المواضع. ثم يورد (سورة النورين) المنحولة، مناقشاً مضمونها. أما الجزء الثالث من الكتاب، فيتناول تاريخ النص القرآني، مناقشاً أهم خصائص الرسم العثماني، ومقارناً إيّاه بنصوص غير عثمانية. ثم يتناول بالتفصيل القراءات القرآنية، وأشهر القراء، ويعرض أهم المصادر التي كتبت في ذلك. وينتهي الكتاب بعرض لأهم مخطوطات القرآن التي كانت معروفة لدى الباحثين آنذاك¹.

فتيودور نولدكه يذهب صراحة إلى بشرية القرآن، أي إنه من تأليف النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - ففي جمال كيفية نشوء الكتب المقدسة اليهودية والمسيحية والقرآن والمقارنة بينها يقول: "أما القرآن فيختلف عنها اختلافا تاماً، فبالرغم من أنّ محمداً هو - موضوعياً وفعالياً - مؤلف الآيات والسور الموضوعية في هذا الكتاب، فهو لا يعتبر نفسه صاحبها، بل التاطق باسم الله والمبلغ كلامه وأرادته².

ولعل ذلك يعود إلى أسباب عدّة نثرها على طول كتابه (تاريخ القرآن) منها تعدد المصاحف من نحو مصحف أبيّ وعبد الله بن مسعود وغيرهما، ووجود الاختلاف فيها كتعدد القراءات مثلاً، ووجود زيادات ونقصان بينها التي كان سببها تحرير بعض الكلمات بين طيات السور والآيات، والغرض منها توضيح معاني الألفاظ ودلالاتها، مع عدم وجود هذه الملاحظات في مصحف آخر، وهذا مما أخذ بيده بأنّ القرآن من تأليف محمد والقراء والنساخ³.

فضلا عن ذلك عدم تدوين المصحف في زمن النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - وبقي منشورا عند عدد من الكتّاب، وذهب إلى أنّ تردّد بعض الصحابة - رضي الله عنهم - بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - عن تدوين القرآن كان من شأنه أن يبرز ما هو أدنى من القرآن.

علاوة على عدم استقرار مفهوم الوحي ومعناه - بزعمه - إذ كان تيودور نولدكه يرى أنّ ما جاء من ألفاظ الوحي بمعان متعددة توهم القارئ في أي المعاني يأخذ ليكون دليلاً في الوصول إلى المعنى الصحيح، فتعدّد معاني الوحي يبعده عن أن يكون الوحي من الله.

فألزم تيودور نولدكه في أن يتخذ سبيلاً وسطاً في القول ببشرية القرآن فضلاً عن عدم موثوقية بعض كتّاب الوحي، وكذلك ربما يكون للأثر السياسي دوره في نسبة القرآن للنبي - بحسب زعم نولدكه - من خلال سيادة قراءة معينة على باقي القراءات واتخاذ قراءة عاصم بن أبي النجود القراءة المعتمدة في بلاد المشرق الإسلامي من

1 - ينظر موقع إسلام ويب، المقالات: حول كتاب "تاريخ القرآن"، تاريخ النشر، 10 / 06 / 2009، الرابط: <https://www.islamweb.net/ar/article/147129>

2 - ينظر عادل عباس التصراوي، أساسيات فهم النصّ القرآنيّ ومصادر دراسته عند المستشرقين، مجلة دراسات استشرافية، العدد السابع، ربيع 2016، ص: 29. الرابط المباشر للمقال: <https://www.iicss.iq/files/investigations/26rms0kt.pdf>

3 - ينظر عادل عباس التصراوي، أساسيات فهم النصّ القرآنيّ، ص: 29.

خلال المذهب الحنفي وتبنيّه من قبل الأتراك، وربما كان لاختلاف أسلوب القرآن من سورة الى أخرى أو اختلافه في السورة الواحدة تبعاً لاختلاف أوقات النزول، قد وقر في نفسه هذا الاتجاه¹.

وفي العالم العربيّ تصبّ مثل جهود الحدائثي محمد أركون عموماً في قصد ما يسميه "أرخنة القرآن" وإعادةه بشكل علمي إلى قاعدته البيئية والعرقية واللغوية والاجتماعية والسياسية الخاصة بحياة القبائل في مكة والمدينة في بداية القرن السابع الميلاديّ، بدءاً من بحثه "نسبة القرآن إلى الله" 1969م، مروراً بكتابه "قراءات في القرآن" 1982م، وأخيراً كتابه "القرآن: من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني" 2001م².

يقول محمد أركون في بحثه عن مدلول التاريخيّة وتطوره: "إنّ مصطلح التاريخيّة يتعلّق بصياغة علميّة، مستخدمة خصوصاً من قبل الفلاسفة الوجوديين للتحدث عن الامتياز الخاصّ الذي يمتلكه الإنسان في إنتاج سلسلة من الأحداث والمؤسسات والأشياء الثقافيّة التي تشكّل مجموعها مصير البشريّة"³.

فمشروع أركون "أنسكلوبيديا قرآنيّة" (قاموس أو موسوعة قرآنيّة) بدأها في جامعة تورنتو في كندا برئاسة البروفيسورة "جين دام أوليف" مع فريق عمل من أجل إخضاع النصّ القرآنيّ لمنهج التحليل والتفكيك متبعين كلّ كلمة قرآنيّة بدراسة تاريخيّة في مادّة مستقلة.

وأركون لم يخف تأثره بكتب "دانيال روس" حيث كتب، يقول: "عندما اطّلت على كتبه تسألّت ألا يمكن أن نفعل شيئاً مشابهاً في ما يخصّ القرآن؟ وما النتيجة التي سنوصل إليها إذا ما قارنا بين الإنجيل والقرآن بهذه الطريقة؟"⁴.

أما بالنسبة لتاريخيّة القرآن فمن وجهة نظر أركون أنّها تمثّلت في العلاقة التي تربط الحقيقة بالزمن ممّا يعني أنّ القرآن ارتبط بلحظة تاريخيّة معيّنة اتّسمت بممارسات عقليّة خاصّة وكان الوحي ينبثق ويتطوّر وينمو ويتعرّض لمتغيرات تحت ضغوط أحداث وتحديات تاريخيّة والخطاب القرآنيّ يتموضع داخل الأحداث التاريخيّة الأكثر اعتياديّة ويوميّة من خلال اقتران آيات القرآن بالحوادث والظروف، لذلك يرى أركون أنّ القرآن في زمن النبيّ - صلى الله عليه وسلّم - كان له خصوصيّاته ومميّزاته، أمّا ما وصل إلينا عبر التاريخ فهو شيء آخر⁵.

1 - ينظر عادل عباس التصراويّ، أساسيات فهم النصّ القرآنيّ، ص: 29.

2 - عبد الرحمن بن معاضة: الدراسات القرآنيّة الحديثة... الرابطة: <https://mtafsir.net/forum>

3 - محمد أركون، الفكر الإسلاميّ قراءة علميّة، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء القوميّ، بيروت، المركز الثقافيّ العربيّ، الدار البيضاء، الطبعّة الثانيّة، سنة: 1996، ص 116.

4 - ينظر، جيهان خليفة، إشكالية النصّ... وطموح التّحديد عند محمد أركون، الموقع الرئيسيّ لمؤسّسة الحوار المتمدّن: العدد؛ 7120 - 28 / 12 / 2021، 00:48، الرابطة: <https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=742141>

5 - ينظر المرجع نفسه.

ويرى أركون ضرورة الرجوع لكل الوثائق التاريخية سواء شيعية أو سنية أو خارجية لإعادة كتابة القرآن لكي نكون قد استطعنا تجنب أي هدف تيولوجي قد حدث بالنسبة لطرف على حساب آخر، مؤكدا ضرورة التأكد من صحة الوقائع¹.

فأركون قد أكد على تاريخية القرآن، وأن هذا شيئا غير مفكر فيه، أي: غير مسموح بالتفكير به، وحسب أركون فالقرآن برع في التغطية على هذه التاريخية عن طريق ربط نفسه باستمرار بالتعلي التي يتجاوز التاريخ الأرضي كلياً أو يعلو عليه².

وذكر أن الوحي - كما يزعم المسلمون - إلهي سماوي لا علاقة له بالشؤون الأرضية، ولكن علم التاريخ الحديث كشف عن علاقة بين الكتب المقدسة وبين الحضارات التي وجدت فيها. وذكر أن هذا الاكتشاف الهام لا يقل خطورة عن اكتشافات داروين وكوبرنيكوس، يقصد أن للبيئة دخلا في إنشاء القرآن وإحداثه، وليس هو بالضرورة شيئا علويًا مفارقًا³.

ويندرج في هذا السياق دراسة نصر حامد أبو زيد⁴ في كتابه "مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن" 1990م⁵، حيث يقول في كتابه نقد الخطاب الديني: "الواقع إذن هو الأصل ولا سبيل لإهداره، من الواقع تكوّن تكوّن النص، ومن لغته وثقافته صيغت مفاهيمه، ومن خلال حركته بفعالية البشر تتجدد دلالاته، فالواقع أولاً والواقع ثانياً والواقع أخيراً"⁶.

وبإهمال الواقع الذي تكوّن منه النص القرآني سنكون أمام كارثة حقيقية كما يقول أبو زيد، حيث قال: "إهدار الواقع لحساب نص جامد ثابت المعنى والدلالة يحول كليهما إلى أسطورة، يتحوّل النص إلى أسطورة عن طريق إهدار بعده الإنساني والتركيز على بعده الغيبي"⁷.

إذن فالقرآن حسب أبي زيد تتداخل فيه مؤثرات معاصرة له كثيرة: الدين القرشي السائد، وشعر الصعاليك، وثقافة الكهانة والسحر، والحكايات الأسطورية، ونصوص الديانات الأخرى، كالتوراة والإنجيل. فالقرآن خليط من كل هذا. ولا حديث عند نصر أبي زيد عن الله والوحي وجبريل. فكل هذه المفاهيم تنتمي إلى

1 - ينظر، جيهان خليفة، إشكالية النص... وطموح التّحديد عند محمد أركون، الموقع الرئيسيّ لمؤسسة الحوار المتمدّن: العدد؛ 7120 - 28 / 12 / 2021، 00:48، الرابط: <https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=742141>

2 - ينظر مصطفى باخو: العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام، ص: 146.

3 - ينظر المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

4 - ينظر في هذا أسماء حديد، في تاريخية القرآن عند نصر حامد أبو زيد، رسالة ماجستير بإشراف: أ.د عبد الغني بارة، تخصص نظرية الأدب وقضايا التّقد، السنة الجامعية 2010 - 2011، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة فرحات عباس سطيف - الجزائر.

5 - عبد الرحمن بن معاضة: الدراسات القرآنية الحديثة... الرابط: <https://mtafsir.net/forum>

6 - ينظر مصطفى باخو: العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام، ص: 149.

7 - ينظر المرجع نفسه والصفحة نفسها.

الخطاب الميثيّ الأسطوريّ يتَرَفَّع الناقد الحديث عن التّعريب عليها أو الحديث عنها كقوى غيبية متعالية تقف خلف القرآن¹.

وقد ارتبطت أطروحة نصر أبو زيد حول تاريخيّة النّصّ الدينيّ والقراييّ بطرحه لمنهجيات جديدة ومستحدثة في التّأويل والاستنباط والاجتهاد؛ فأبو زيد الذي يرى النّصّ القراييّ نصّاً ثقافيّاً لغويّاً كسائر النّصوص، لا يرى أن ينفرد هذا النّصّ بمنهجيات خاصّة - كما هو معمول به في علوم التّفسير والفقه - بل تنطبق عليه منهجيات تحليل الخطاب التي أنتجتها علوم اللّغة والألسنيّات المعاصرة، كما قدّمها الفكر الغربيّ، يقول: "إنّ تاريخيّة النّصوص" بمعنى أنّ دلالتها لا تنفك عن النّظام اللّغويّ الثّقافيّ الذي تعدّد جزءاً منه يجعل من اللّغة ومحيطها الثّقافيّ مرجع التّفسير والتّأويل"².

وفي آخر الكلام فإنّ هناك مجموعة من المراجع يمكن أن يستفاد منها في هذا الجانب، نذكر منها:

- تاريخيّة القرآن في الفكر الحدائّي العربيّ لعبد الله بن محمّد القرينيّ.
- العلمانيون والقرآن الكريم تاريخيّة النّصّ، أحمد إدريس الطّعان.
- العلمانيون العرب وموقفهم من الاسلام، أبو سفيان مصطفى باخُو السّلاويّ المغربيّ.
- دعوى تاريخيّة القرآن الكريم استدلالاً بأسباب النّزول دراسة نقدية، يوسف شريف رشق.
- أثر الاستشراق في الفهم الحدائّي لمباحث تأريخ القرآن وعلومه، كاظم جواد الحكيم.
- أثر الفكر الغربيّ على محمّد أركون وموقفه من القرآن الكريم، سمية علي محمّد إبراهيم.
- دراسات تاريخيّة من القرآن الكريم، دكتور محمّد بيوميّ مهران.
- مقال دعوى تاريخيّة القرآن الكريم، بوعينيّ أحمد.

الموضوع الثّاني المفردة القرآنيّة:

المفردة القرآنيّة من الموضوعات التي عمل عليها الحدائيون، فلا تكاد تجد قراءة من قراءاتهم إلّا وعمدتها المفردة القرآنيّة، وحين نرجع لثرائنا نجد الكثير من المؤلّفات خصّصت المفردة القرآنيّة بالعناية، فقد أُحصيت من كتب مفردات القرآن وغريبه حتّى عصر الزّاغب الأصفهانيّ في مطلع القرن الخامس الهجريّ نحو ستين كتاباً، ومع ذلك فهذا التّراكم في المصنّفات حول المفردات القرآنيّة كان يُنظر إليه في الغالب على أنّه مجرد درس لغويّ لألفاظ القرآن، فيتمّ التّعامل معها بطريقة شكلية، لكن الدّرس اللّسانيّ، والبنويّ منه بشكل خاصّ، أكّد على أهميّة

1 - ينظر مصطفى باخُو: العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام، ص: 150.

2 - ينظر مولاي المصطفى البرجاويّ، خدعة "تاريخيّة" القرآن الكريم، موقع الألوكة، تاريخ الإضافة 19/8/2009: ميلادي -

1430/8/27 هجري، الزايط: <https://www.alukah.net/culture/0/7113>

مفردات أي نص في الكشف عن دلالاته وإبراز جوانب من معانيه، ومن هذا المدخل كان الاهتمام بدراسة المفردة القرآنية بوصفها مفتاحاً مركزياً لفهم الموضوع الذي تتصل به، وكذلك فهم تصورات كبرى تتصل بالمفهوم¹.

وفي صلب الدلالة الكليّة للقرآن الكريم جاء الاهتمام بدلالة المفردات القرآنية باعتبارها مدخلاً في غاية الأهمية لهذا التحليل الكليّ، فقد اعتمدت معظم الدراسات على المفردة كأداة لتحليل الخطاب القرآنيّ، تارةً تحت تأثير المنهجيات الحديثة في اللسانيات، مثل دراسة توشيهيكو إيزوتسو "الله والإنسان: دلالات تصوّر العالم القرآنيّ" (باللغة الإنكليزية 1963م)، وعائشة بنت الشاطي في "التفسير البيانيّ للقرآن الكريم" مطلع الستينيات، وشكري عياد في دراسته "يوم الدين والحساب: دراسات قرآنية" 1984م،

ومحمد أركون أيضاً في كتابه "القرآن" 2001م، ودراسة تلميذته جاكلين الشابيّ بالفرنسية، بعنوان "رب القبائل: إسلام محمد" 1997م. ومحمد شحرور في كتابه "الكتاب والقرآن: قراءة معاصرة" 1990م وفي مؤلفاته الأخرى التي كان آخرها "نحو أصول جديدة للفقهاء الإسلاميين: "فقه المرأة" 2001م،

وثمة دراسات أخرى عمدت بسبب أهميتها المفهومية، مثل دراسة أبي الأعلى المودوديّ "المصطلحات الأربعة في القرآن: الإله، الرب، العبادة، الدين" 1941م، ومحمد أبي القاسم حاج حمد في كتابه "العالمية الإسلامية الثانية: جدل الغيب والإنسان والطبيعة" 1979م، إذ إنّ مفاهيم القرآن الجديدة حملتها مصطلحات خاصة هي في المحصلة مفردات قرآنية، وقد أبانت معظم تلك البحوث والدراسات عن خطورة الدور الذي تحتله المفردة في دراسة القرآن وتحليل خطابه².

لقد بدأت المفردة القرآنية تصبح محطّ اهتمام متزايد وتستحوذ على عناية مختلف المناهج الحديثة في دراسة القرآن الكريم منذ بدأ الالتفات إليها في الأربعينيات من القرن المنصرم، لقدرتها على تحليل كليّاني³ للخطاب القرآنيّ؛ وقد حدا هذا الأمر بمعظم الباحثين لاستثمارها واتخاذها أساساً لدراسة الخطاب القرآنيّ تحت تأثير بواعثهم المختلفة، وقد أثبتت المناهج الحديثة - في معظمها - نجاعتها في الكشف عن وجوه للخطاب ربّما ليس بمقدور غيرها الكشف عنها، وأبان بعضها عن قدرة فائقة في تحليل الخطاب القرآنيّ عبر مفرداته، خصوصاً تلك المناهج التي استفادت من المعرفة الغربية الحديثة وجمعت معها المعرفة التراثية مع وعيها لخصائص نصّ منتسب إلى الإله المتعال المفارق للوضع الإنسانيّ⁴.

1 - عبد الرحمن حللي، الدراسات القرآنية المعاصرة، الرّابط: <https://tafsir.net/interview/36/ad-drasat-al-qr->
.aanyt-al-m-asrt-fy-al-alm-al-rby-waldrasat-al-ghrbyh

2 - عبد الرحمن بن معاضة: الدراسات القرآنية الحديثة... الرّابط: <https://mtafsir.net/forum>

3 - كُليّانيّة يقصد بها نظام سياسي ذو حزب واحد لا يقبل أيّة معارضة سياسية كلياتية حُكم/ سُلطة، كما يقصد بها شموليّة، بمعنى كُليّة قدّم الباحث رؤية كلياتية عن المجتمع، أو بمعنى طرق الموضوع بجزئياته وكُلياته: بجوانبه الخاصة والعامة.

4 - عبد الرحمن بن معاضة: الدراسات القرآنية الحديثة... الرّابط: <https://mtafsir.net/forum>

ومن هذا المجال فقد دعت الحاجة إلى وضع فهارس لألفاظ القرآن، تسهّل للباحثين الوصول إلى كلمات القرآن بيسر، فاتجهت عناية المسلمين والمستشرقين في الثلث الأوّل من القرن العشرين إلى وضع فهارس لألفاظ القرآن وأطراف آياته، ومن تلك المؤلّفات في هذا المجال: نجوم الفرقان في أطراف القرآن: للمستشرق الألماني فلوجل، فتح الرّحمن: تأليف علي زاده فيض الله الحسيني، مفتاح كنوز الرّحمن: لكاظم بك، كتاب ترتيب زيبا: لحافظ محمود الورداري، معجم آيات القرآن: حسين نصار، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: للأستاذ محمّد فؤاد عبد الباقي، وغيرها.

ففهارس أَلفاظ القرآن توصل الباحث إلى موقع اللفظة في القرآن، وبعد ذلك عليه أن يبحث عن معناها في كتب اللّغة وتفسير القرآن، لذا دعت الحاجة لوضع معاجم تدلّ على الألفاظ وتشرحها لتيسّر على الباحث مشقّة البحث، وتسهل عليه جمع المادّة اللازمة للدراسة والتأليف.

وقد كان العمل في هذا الاتجاه جماعياً، إذ اقترح الدّكتور (محمّد حسين هيكل) عضو مجمع اللّغة العربيّة في القاهرة، وضع معجم خاصّ بألفاظ القرآن، وكان ذلك في دورة المجمع في الجلسة الثّانية لمؤتمر المجمع في 6/ محرم - 1360هـ. الموافق 2 فبراير سنة 1941م. وبعد بضع دورات وجلسات وفي عام 1949م، تشكّلت لجنة من المجمع وبدؤوا بإعداد المعجم ضمن مراحل متعدّدة:

1. إذا كانت الكلمة القرآنيّة ترد في القرآن بمعنى واحد:

أ. تشرح شرحاً لغويّاً.

ب. يبيّن أنّ الكلمة وردت في القرآن في مواضع متعدّدة، وأتّما جاءت في كلّ هذه المواضع بالمعنى الذي ذُكر آنفاً.

2. إذا كان لها معان لغويّة مختلفة:

أ. ينصّ على المعاني اللّغويّة كلّها.

ب. يؤخذ أولاً أكثر المعاني دوراناً في القرآن، وينصّ على أنّ الكلمة وردت بهذا المعنى في كذا وكذا موضعاً، ويُذكر مثالان من الآيات مع اسم السّورة ورقم الآية، ثمّ يُكتفى بعد ذلك بما جاء في هذا المعنى بذكر السّورة ورقم الآية.

ج. تذكر المعاني الأخرى معنى بعد آخر، ويذكر بعد ذلك عدد الآيات التي جاءت فيها الكلمة بهذا المعنى، ويُكتفى بمثال، ثمّ تُذكر السّور وأرقام الآيات الأخرى.

3. إذا كان للكلمة أكثر من معنى يُبدأ بالمعاني التي وردت في قليل من الآيات ثمّ يذكر المعنى الذي ورد به في كثير من الآيات.

4. إذا كان للكلمة معنى لغويّ واحد ولكنّها استعملت في القرآن الكريم بألوان مختلفة بسبب المجاز ونحوه، نصّ على المعنى اللّغويّ البحث.

والهدف من كل هذه الدراسات هو بيان الدلالات الكليّة للقرآن الكريم انطلاقاً من المفردة، وقد تكلمنا في بحث آخر مستقلّ عن دراسة المفردة القرآنيّة كنموذج للدراسات الجديدة في مجال الدراسات القرآنيّة الحديثة وأعطينا نموذجاً للعديد من الدراسات في المفردة القرآنيّة، لا بأس أن نعيد ذكر بعضها تلك الدراسات لأهمّيّتها:

مفهوم النبوة في القرآن الكريم، لأسماء عبد المنعم أحمد هريدي. ونحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنيّة المعرفة، لمؤلفه الشاهد بن محمّد البوشيخي. والبيان في روائع القرآن، لتّمّام حسّان، وكتاب مقال في الإنسان دراسة قرآنيّة، لعائشة عبد الرّحمن. ومفردات القرآن (نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنيّة)، لعبد الحميد الفراهي. والكلمات الإسلاميّة في الحقل القرآني، لعبد العال سالم مكرم. وصفاء المفردة القرآنيّة، لعبد الفتاح لاشين. وكلمات القرآن التي لا نستعملها لمحمّد الجوادي. والإتيان والجحيم، فقه دلالتها واستعمالها في القرآن الكريم، لمحمود موسى حمدان. والإعجاز البيانيّ في صيغ الألفاظ دراسة تحليليّة للإفراد والجمع في القرآن، لمحمّد الأمين الخضري. والقرآن دعوة حقّ مقدّمة في علم التّفصيل القرآنيّ، لمحمّد العفيفيّ، وجماليات المفردة القرآنيّة، لأحمد ياسوف، وفضاءات المفردة القرآنيّة في الخطابين المكيّ والمدنيّ، لحسين عبد الكريم. علم المفردة القرآنيّة، لحسين الخليفة. ومفردات من القرآن، الجراح محمّد ربيع الطنطاويّ. ومفردات قرآنيّة، لمحمّد عادل عبد العزيز، ومفردات القرآن الكريم. لعبد الإله عبّاس النّدويّ، ورسالة أثر المفردة القرآنيّة في فهم ودلالات النّصّ القرآنيّ لحمزة بوخزنة، وغيرها.

الخاتمة:

في خاتمة هذا البحث نجمل ما توصلنا إليه من نتائج في التّقاط التّالية:

- للاستشراق أثر كبير في تجديد علوم القرآن، سواء من حيث التّعريض للشبّهات أم من حيث البحث في الموضوعات التي طرحها أرباب الاستشراق أو من تأثّر بهم من العرب، وقد أدّى ذلك لإعادة النّظر في موضوعات علوم القرآن والبحث فيها مجدّداً وإعادة تأليفها وفق المنظور الجديد.
- الحدائثون تأثّروا بالاستشراق والمناهج الغربيّة الحديثة، وحين دراستهم للنّصّ القرآنيّ وما تعلق به من علوم أثاروا العديد من الاشكالات المتعلّقة بعلوم القرآن، كموضوع الوحي وقدسيتها القرآن وعصمته، والنّاسخ والمنسوخ، وأسباب النّزول وترتيب السّور وما يتعلّق بهما من حيث التاريخيّة، وغيرها من الموضوعات التي أثارَت جوانب كثيرة من الدّرس القرآنيّ أدّى ذلك بالباحثين المختصّين للكتابة فيها سواء بالرّد المباشر أم بالرّد غير المباشر.
- اليوم نرى التّجديد في علوم القرآن تميّز بجملة من الميزات منها: تيسر لغة الكتابة، وإضافة المباحث التي تحتاج للكلام؛ كتاريخيّة القرآن وغيرها، والرّد على الشبّهات بالطّريقة المباشرة أحيانا وبعكسها في أحيان أخرى، كما أنّ علوم القرآن بصغتها الجديدة تميّزت بالبحوث المستقلّة في الشّيء الواحد مع أنّها لم تخلو من الكتابة الموسوعيّة كذلك، ونختم بأن الكتابات كثيرة اليوم في علوم القرآن لا يكاد يحصيها الباحث نظراً لكثرتها وتنوّعها؛ بحوث ومقالات ومدخلات ومصنّفات و... ما يعطينا صورة واضحة وجليّة على ظاهرة التّجديد في علوم القرآن.

مراجع البحث:

أولاً - الكتب والرّسائل:

- أسماء حديد، في تاريخية القرآن عند نصر حامد أبو زيد، رسالة ماجستير بإشراف: أ.د عبد الغني بارة، تخصص نظرية الأدب وقضايا التّقد، السنّة الجامعيّة 2010 - 2011، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة فرحات عبّاس سطيف - الجزائر.
- جميل صليبا (المتوفّي: 1976م): المعجم الفلسفيّ، الشركة العالميّة للكتاب - بيروت، تاريخ الطبع: 1414 هـ - 1994م.
- عادل عباس التّصراويّ، أساسيات فهم النّصّ القرآنيّ ومصادر دراسته عند المستشرقين، مجلة دراسات استشرقيّة، العدد السّابع، ربيع 2016، ص: 29. الرّابط المباشر للمقال: <https://www.iicss.iq/files/investigations/26rms0kt.pdf>
- عبد المحسن بن زين بن متعب المطيري: دعاوى الطّاعنين في القرآن الكريم (الطّعن في القرآن الكريم والرّد على الطّاعنين)، دار البشائر الإسلاميّة، بيروت - لبنان، الطّبعة: الأولى، 1427هـ - 2006م.
- عثمان جمعة ضميريّة، وسطية الإسلام والأمة المسلمة، مجلة البيان، تصدر عن المنتدى الإسلاميّ، العدد 167.
- علي بن مصطفى الطّناوي (المتوفّي: 1420هـ): ذكريات، راجعه وصحّحه وعلّق عليه: حفيد المؤلّف مجاهد مأمون ديرانية، دار المنارة للنشر والتّوزيع، جدّة - المملكة العربيّة السّعوديّة، الطّبعة: الخامسة، 1427هـ - 2006م.
- فهد بن عبد الرّحمن بن سليمان الرّوميّ، دراسات في علوم القرآن، الطّبعة: الثّانيّة عشرة، سنة: 1424هـ - 2003م.
- محمّد حسين علي الصّغير: المستشرقون والدّراسات القرآنيّة، دار المؤرّخ العربيّ، بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى: 142هـ - 1999م.
- محمّد عبد السّلام كفاي وعبد الله الشّريف، في علوم القرآن دراسات ومحاضرات، النّاشر: دار النّهضة العربيّة - بيروت.
- محمّد أركون، الفكر الإسلاميّ قراءة علميّة، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء القوميّ، بيروت، المركز الثّقافيّ العربيّ، الدّار البيضاء، الطّبعة الثّانيّة، سنة: 1996.
- مصطفى باحّو أبو سفيان السّلاويّ المغربيّ، العلمانيون العرب وموقفهم من الاسلام، المكتبة الإسلاميّة للنشر والتّوزيع، القاهرة - جمهوريّة مصر العربيّة، الطّبعة: الأولى، 1433هـ - 2012م.
- منّاع بن خليل القطّان (المتوفّي: 1420هـ): مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتّوزيع، الطّبعة: الثّالثة 1421هـ - 2000م.

- موقع إسلام ويب، المقالات: حول كتاب "تاريخ القرآن"، تاريخ النشر، 10 / 06 / 2009، الرابط:
<https://www.islamweb.net/ar/article/147129>

- ياسر عبد الرحمن: موسوعة الأخلاق والزهد والتقائق (قصص تربوية من حياة الأنبياء والصحابه والتابعين والصالحين)، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1428هـ - 2007م.
- يوسف عبد الله القرضاوي (المتوفى: 1444هـ - 2022م): فتاوى معاصرة، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة: 2000.

- يوسف عبد الله القرضاوي (المتوفى: 1444هـ - 2022م): الفتوى بين الانضباط والتسيب، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة الطبعة الأولى، سنة: 1988.

ثانياً - الأبحاث والمواقع الالكترونية:

- أحمد وسام شاكر، مخطوطات المصاحف بين التناول الإسلامي والاستشراقي، الواقع - الإشكالات - الآفاق (1-2)، إعداد: فريق موقع التفسير، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرابط:
<https://tafsir.net/interview/39/mkhtwtat-al-MSahf-byN-at-tnawl-al-Islamy-walastshraqy-al-waq-al-ishkalat-al-aafaq-1-2>

- جيهان خليفة، إشكالية النصّ... وطموح التّحديد عند محمد أركون، الموقع الرئيسيّ لمؤسسة الحوار المتمدّن: العدد؛ 7120 - 28 / 12 / 2021، 00:48، الرابط:
<https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=742141>

- خليل محمود اليماني، مقال: البلاغة السامية في القرآن، موقع مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرابط:
<https://tafsir.net/translation/45/al-blaght-as-samy-yat-fy-al-qr-aan>

- دليل الكتب المطبوعة في الدراسات القرآنية حتى عام 0341هـ - 9112 جهود الأمة خلال خمسة عشر قرناً" إعداد مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، نشوان عبده خالد، QURANICA, 3(1), 2013 BOOK REVIEW Nashwan Abdo K. Qaid | 279

- عبد الرحمن بن معاضة الشهري: الدراسات القرآنية الحديثة... إلى أين تتجه، تاريخ النشر:
18/04/2006, 02:55 pm - <https://mtafsir.net/forum>: الرابط:

- عبد الرحمن حللي، الدراسات القرآنية المعاصرة، في العالم العربي والدراسات الغربية، موقع مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرابط: - <https://tafsir.net/interview/36/ad-drasat-al-qr-aanyt-al-m-asrt-fy-al-alm-al-rby-waldrasat-al-ghrbyh>

- طه جابر العلواني: القرآن الكريم والقراءات المعاصرة، حوار مع الدكتور الشيخ طه جابر العلواني، مجلة الكلمة، العدد 71، السنة الثامنة عشر، ربيع: 1432هـ - 2011م، الرابط:
<http://kalema.net/home/article/view/998>

- فرست مرعي، مقال: اكتشاف النصّ القرآنيّ رد على شبهات قديمة جديدة، أرشيف مجلة البيان العدد 342 صفر 1437هـ نوفمبر 2015م، في دائرة الضور، موقع مجلة البيان، الرابط:
<https://www.albayan.co.uk/MGZarticle2.aspx?id=4737>

- مقدّمة المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، على كتاب دراسات استشراقية معاصرة للقرآن الكريم
المدرستان الفرنسية والألمانية أنموذجاً (تحليل ونقد)، للأمير محفوظ أبو عيشة، سلسلة القرآن في الدراسات الغربية،

المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، الرّابط: <https://www.iicss.iq/?id=3295>

- منقذ بن محمود السّقار، مقال: مخطوطات القرآن المكتوبة في القرن الهجري الأوّل تشهد بموثوقية نصّ
القرآن العظيم، - مولاي المصطفى البرجاويّ، خدعة "تاريخية" القرآن الكريم، موقع الألوكة، تاريخ
الإضافة 19/8/2009: ميلادي - 1430/8/27 هجري، الرّابط

موقع إعجاز القرآن والسّنّة، الجمعة/مايو/2022، الرّابط: <https://www.alukah.net/culture/0/7113>
<https://quran-m.com>